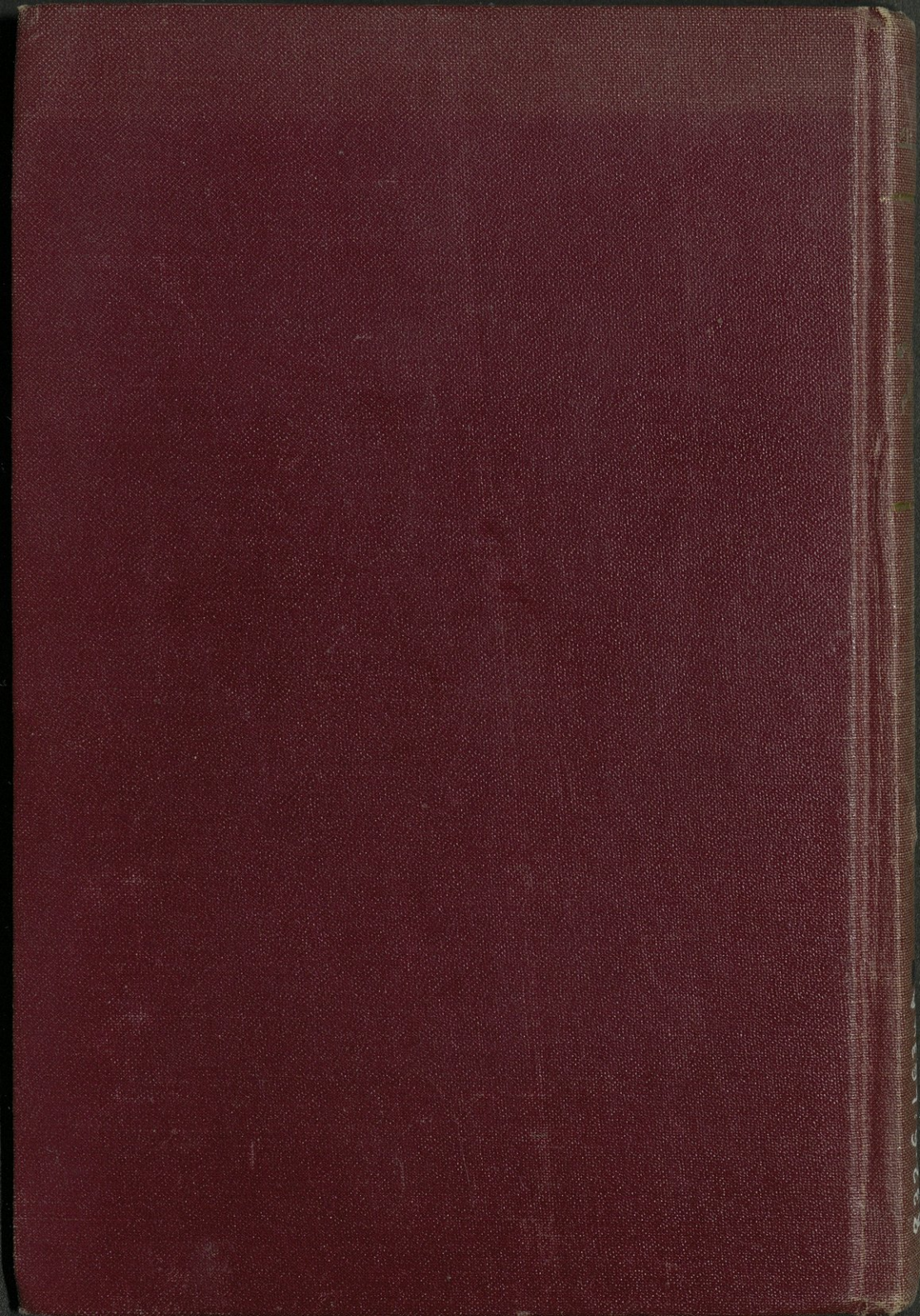




تجلید صالح الدقر
تلفون ۲۲۹۷۷

832.6

L63u Ar

~~SE 6-56~~

~~63~~

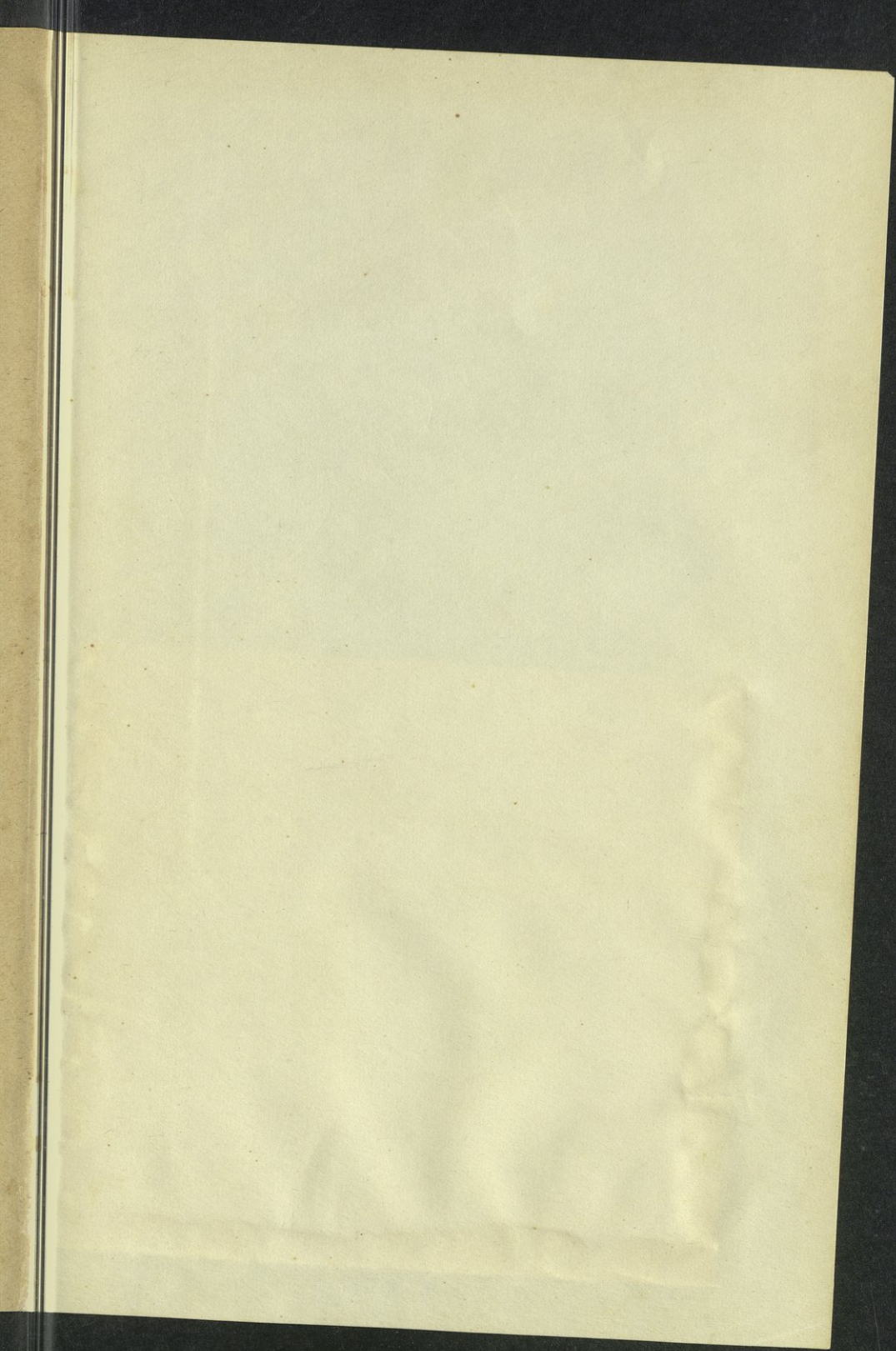
~~12 JAN 1965~~ 15 APR 2002

Circulation Dept. 1

~~Feb 67~~

15 APR 2002 *

Circulation Dept. 1



832.6
L63uA

العرس المائم

تأليف: الشاعر الألماني ليسنك
ترجمة: الدكتور أمين رويحه



— ١٩٥٥ —

جميع الحقوق محفوظة لدار الحكمة
بيروت



جلس الأمير هيتور كونسكا الى مكتبه وقد تراكت
فوقه الاوراق والرسائل ؛ وراح يقلب بعض هذه الرسائل
والاوراق بجرعة عصبية ، كمن سئم عمل الامارة الرتيب ،
أو كمن في جوّه من الغيوم ، ما يعكر عليه صفاءه في
صباح ذلك اليوم . وخاطب نفسه قائلاً :

- شكوى .. لا شيء غير الشكاوى .. لا شيء غير
الاستدعاءات .. أعمال مضنكة مرهقة ، ومع ذلك فالتناس
يغبطوننا ، ولا يدرون .. آميليا ؟

وكانت مفاجأة ، حملته على الهتاف عفواً بهذا الاسم ،
فمن تكون صاحبة هذا الاستدعاء ؟
وقرأ التوقيع مرة ثانية ، فقال :

- آميليا برونشي ! .. وتلك آميليا كالوتي ... فما
حاجة هذه « الآميليا » الجديدة ؟

وقرأ الاستدعاء بشيء من الاهتمام ، كأن اسم صاحبه
قد أنساه تبرّمه بالعمل ، حتى اذا انتهى من قراءته ،
هزّ رأسه قائلاً :

- إنها تطلب كثيراً ، كثيراً جداً ، ولكن اسمها
آميليا ، وإن لم تكن آميليا كالوتي .

وفي غير تردد خطّ على الاستدعاء :

- موافق .

وكمّن اعتزم التوقف عند هذا الحدّ من العمل ، قرع
الجرس داعياً الحاجب ، فما مثل هذا بين يديه ، حتى
قال له :

- أفي غرفة الانتظار احد من مستشاري ؟

فانحنى الحاجب ، واجاب :

- كلا ، يا مولاي .

فكتم الامير بعض غيظه ، وقال :

- لقد بكرت اليوم في العمل ، رغبة في اغتنام فرصة
هذا الصباح الجميل للتنزه ، وأودّ الخروج برفقة رئيس
الديوان مارينلي ، فاستدعه الي .
وعاد الى التفكير :

كان الأمير هيتور كونسكا - امير كواستالا - من
أولئك الاسياد الذين تعودوا الاستئثار بكل ما هو جميل
في نطاق نفوذهم وسيادتهم .
ومن يعرف اسياد الأجيال المتوسطة في اوربا وفي

سواها ، لا يجهل الى أي حدّ من حدود الانانية ، والى
أي مدى في دنيا الاستهتار بحقوق الغير ، كانوا يذهبون
متأثرين بهوام الشخصي ، مستبشرين كل محرّم لاتباع هذا
الهوى .

وكان الأمير في طور الشباب ، يتنقل بهـواه حيث
يجلو له ان يتنقل ، ويبدل من نفوذه ومن ماله ، لتوفير
ما يشتهي لنفسه من اسباب اللذات ؛ ومن حواليه بطانة ،
تتهالك في كسب رضاه ، على غرار بطانات الملوك
والامراء ، في ذلك العهد . وفي كل عهد ...

ولما ان النفوس الأبية الكريمة ، تلك التي تعاف التمرغ
في وحول الذل ، وتأبى التملق والتزلف والزحف على
الركاب ، لكسب رضى الاسياد ، حكاماً وامراء وملوكا ،
تؤثر الانزواء على الظهور في مثل هذا المظهر الخداع ،
هكذا ما عتمت كواستالا ، ان رأت شرفاء النفوس من
ابنائها يغادرون بلاطها ، ويقبعون في منازلهم او في قرى
ومزارع لهم في الأرياف . والجبال .

ولم يكن هذا ليحمل الامير وبطانته ، على شيء من
الأسف ، بل كانوا على العكس مرتاحين اليه ؛ لأن ابتعاد

اولئك « المحافظين السخفاء ! » عنهم ، يفسح المجال لعبثهم ،
دون ان يضطروا حتى الى الاستتار ، حين يعبثون .

ولم يكن يفكر في الزواج .

ولم يفكر في ذلك ... لم يفكر في ان تكون له
امرأة واحدة ، وكل امرأة في كواستالا ، تمنى لو انها
له ؛ يفتح لها خزائن قلبه ، ويبت ماله في آن واحد ؟
ولكن مصالح الامارة وسياستها كانت هناك .

فليس للامير ان يستمر في عزوبته ، وكما ان آباءه
واجدادهم قد تزوجوا ، وانجبوا اولياء العهد ، هكذا كان
عليه هو ان يتزوج وينجب .

وما كان له ان يختار عروسه ؛ فالسياسة والمصالح ،
هي التي تختار هذه العروس ، لان الامير ليس لنفسه !
بقدر ما هو للدولة ! ...

فعلى امير كواستالا ان يطلق اذن ، عزوبته .

واذا بالسياسة والمصالح تختار له المركيزة اورزينا ،
ابنة أمير ماسا ، جارة كواستالا ، ولم يكن له ان
يتردد فطلب يد المركيزة واعلن خطبته عليها .

ولم تكن الفتاة النبيلة على قسط وافر من الجمال ،

ولكن على الامير ان يرضى بها على علاقتها ، وان يخادع نفسه في تقدير مزاياها ومحاسنها ، إن لم يكن لاقناع نفسه ، وارضائها بالواقع ، ففي الاقل لاقناع شعبه ، برضاه عما فعل ! ..

وللمصانعة حد ، ينتهي حيث يتغلب الطبع على التطبع ، وتنطلق السبحية من حيث اريد لها الكبت ، الامر الذي حاول الامير ان يتجاهله في البدء ، حتى اذا تدخل القدر ، لم يبق له إلا الانحناء لأمره .

لقد كانت اميرة . هذا صحيح ! ولكن في كواستالا اميرات جمال ، استوين على عرش النفوس ، وتحكم في القلوب ! وقد عرف الامير الشاب منهم كثيرات ، وذاق بين ايديهن انواعاً من اللذة ، ما كان لينصرف عنها ، لو لم يبعث القدر في طريقه الفتاة :
- آميليا كالوتي ؟

ليس والدها العقيد كالوتي ، بنكرة لديه ، فهو يعرف الرجل الذي خدم البلاط جندياً باسلاً ، وكان مثال المواطن المتمسك بالتقاليد القومية النبيلة ، ولم يترك الجندية والبلاط والمجتمع ، إلا لتمسكه بهذه التقاليد .

فهو يرى ان الاخلاق في مجتمعه قد انحطت ؛ وفي

البلاط وحاشيته ، انحراف عن تقاليد الشرف والنبل . وحتى في السلك الذي شب فيه وشاب ، ووقف سيفه للحفاظ على تقاليد ، لم يبق الكثير من هذه التقاليد التي على التمسك بها ، يتوقف خير الوطن ، وتقدمه ، وسلامة كيانه . تذكر الامير العقيد كالوتي ، دون ان يأبه للأسباب التي حملته على اعتزال الخدمة ، ولم يبق له من هم إلا الفتاة . فهو يريد ان يجتمع بها وان يحدثها ، فبات يرقب الفرص لذلك ، حتى كان عيد من اعياد الامارة الكبرى ، وخرج الناس الى الشوارع والساحات ، يسرحون فيها ويمرحون . وكان على الامير - بحكم التقاليد - ان يشارك الناس في ابتهاجهم ، فراح يتنقل بينهم من شارع الى شارع ومن ساحة الى ساحة ، وهمه الوحيد ان يلتقي الفتاة التي سحره جمالها ، قبل ان يتاح له التخلي عن كسب ، من النظر الى مفاتيح هذا الجمال .

ولم تكن آميليا من فتيات المدينة اللواتي تعودن اللهو ، فهي مثال أبيها عفة وإباء ، وترفع أخلاق . وكان أبوها يود لو انها تهجر المدينة مثله ، وتروح تنزوي على غرارها في قريته العزيزة « سايبونيتا » ولم تكن الفتاة لتعارض مشيئته ،

ولكن أمها أرادت البقاء وإياها في المدينة ، لتتمكن من
تربيتها التريبة التي تحتاج في المستقبل إليها ؛ فهي في نظرها
معدة لأن تلعب دورها على مسرح الحياة الاجتماعية ، في
غير الاوساط القروية ، ومن الجريمة حملها الى تلك الاوساط
التي لم تألف العيش فيها ، بينا في المدينة المجال الرحب
لاظهار جماها ، ومزاياها . وفيها من فتيان المجتمع من هي
أهل لهم وهم أهل لها ، ومنهم من يتمسك كزوجها
بالعادات والتقاليد الشريفة ، دون ان يحمله تمسكه بها على
الابتعاد عن مجتمعه .

وما ارادته الام كان .

فالجمل المتدفق من القلب الفقي الطاهر ، ما عثم ان
التقى صنوه ؛ فقي من اكرم فتيان الامارة واعرقها محتداً ،
هو المركيز أبياني الذي لم تعرف كواستلا أعف منه
نفساً ، الامر الذي جعله يقاطع البلاط ومن فيه ، وينصرف
الى شؤونه الخاصة ارضاء لنفسه الحرة .

وتفاهم الفتيان لأول وهلة .

وتعاهدا على الزواج .

وكانت الخطبة ...

ولم تكن الفتاة ، بالطبع ، سوى فتاة ؛ تبتهج نفسها
بالاعیاد ، وترى لها فيها نصيباً كما لغيرها من الفتيات .
وتأبى امها إلا ان توفر لها اسباب المناء البریئة ، فخرجت
بها في صباح العيد المتقدم ذكره الى الشوارع ، كالزنبقة
التي لم يكن لسوى النور والندى ان یسها ، فاذا بها في
غمرة العيد ملكة العيد ، لا تتألك الجماهير من تحيتها
اصدق تحية ، حیثا بدت ، في تلك الغمرة الزاخرة بالشعور
الشعبي ، طلعتها البهية .

ووقعت عين الامیر الباحثة فجأة علیها !
وفي لحظة ، ودّت الفتاة لو انها لم تكن ؛ اقبل یحییها ،
تحية ادرکت هي وحدها ماوراءها ، ولم يدرك الجمهور منها
سوى انها بادرة اعجاب من سید البلد ، بالجمال والطهر
الذين اجلساها على عرش القلوب . فتعالى الهتاف بحیاتها
بشكل ما عثم ان جعل الخوف ، یحل محل الحياء في نفسها .
وحدثها الامیر بلغة أزال بعض خوفها .

ولم یکن في التحدث اليها ، امیراً اکثر منه ، رجلاً عادياً ،
رجلاً یستهويه الجمال ، ویروض من طباعه ، وان تكن
من طباع من تعودوا ان یروا انفسهم من غیر طينة البشر .

فكان على الفتاة الطاهرة القلب ، ان تصغي - بالرغم من خوفها - اليه ، وان لا تشك في حسن نيته ، بما حمّله على الاعتقاد ، بانها لن تتردد في الارتقاء بين ذراعيه الاثيمين ، حين يدعوها الى ذلك .

ومن هنا كانت المفاجأة ، حينما قرأ الشطر الاول من اسمها على الاستدعاء ، حيث خيل اليه في ومضة بارقة ، من حمى التفكير ، انها هي الكاتبة ، وانها ... ولكن الشطر الثاني من الاسم ، ما عمّ ان اعاده الى الواقع ، ومع ذلك فقد تفاعل بالحير ، وبات ينتظر المفاجأة الكبرى ، تلك التي ستجعل من حلمه ، بامتلاك تلك المخلوقة الساحرة ، واقعاً ملموساً .

وكان قد تنامى المركيزة خطيبته ، ومصالح الامارة وسياستها .. فهذه المركيزة ، لا تحتل بعد ، اية مكانة من نفسه ، وقد اراد افهامها هذا ، بأكثر من طريقة ، وتأبى ان تفهم ... فهي تزججه برسائلها ، وبما يخيل اليها ، انه كاف لصفه عن اية امرأة سواها ، وتجهل الحقاء انها آخر من من النساء يقوى على ذلك .

- وما خرج الحاجب حتى عاد يقول :
- لقد بعثت من يدعو رئيس الديوان يا مولاي ؛
- وفي الباب رجل يحمل هذه الرسالة من المركيزة اورزينا .
- فهتف الامير ، كمن لدغه عقرب :
- من المركيزة ...
- وتذكر في الحال ان الرصانة تقضي بتغيير لهجته ، فقال :
- حسن .
- وتناول الرسالة ، فقال الحاجب :
- ينتظر الرسول الجواب ؟
- سأبعث بجواب اذا كان الامر يقتضي ذلك ... أفي
- المدينة هي ؟
- منذ البارحة .
- فغغم الامير :
- نكبة ... أردت ان اقول نعمة ... وعلى هذا
- فما على الرسول ان ينتظر .
- وأشار الى الحاجب بالخروج .
- ولما بات وحده ، صرف باسنانه حنقاً ، وقال :
- هذه المركيزة ... احاول الهرب منها وتبعني ...

اما من سبيل افهامها اني عالق في غير شركها ؟

وعاد الحاجب من جديد يعلن :

- الرسام كونتي .

فانبسطت اسارير الامير بعض الانبساط ؛ وقال :

- ليدخل .

وكان كونتي من كبار الرسامين وقد قرّبه الامير

تقديراً لفنه ، ونسي انه كلفه بوضع رسم للمر كيزة ، وخيل

اليه انه قادم كالعادة لاثبات وجوده ، فما دخل عليه

حتى استقبله بحفاوة ، قال :

- اهلاً ، يا كونتي ... كيف حال الفن ؟

فتأوه الرسام ، قائلاً :

- الفن ... كعادته يامولاي ، يركض وراء الرغبة .

فابتسم الامير ، وقال :

- هذا ما يجب ان لا يكون في امارتي ... بكل

تأكيد لا ... ولكن على الفنان ان يعمل .

- ان يعمل ... هذا ما يودّ ... ولكن الافراط

والتبذل في العمل يذهبان بشهرته كفنان .

- لا اعني الافراط والتبذل : بل اعني الاجتهاد في

العمل ... وما عندك لي ؟

- لقد اتيتك بالصورة التي امرتني بصنعها يا صاحب السمو ، وبصورة اخرى لم تأمرني بصنعها ، ومع ذلك فانا واثق بانها ستحوز رضاك .

- بالصورة التي امرتك بصنعها ... أية صورة هذه ؟
- صورة المركيزة اورزينا .

فكاد الامير يرسل صرخة غضب ، ولكنه تمالك محافظة على هيبة الامارة ، واتقاء البوح بما يريد ان لا يعرفه الناس ، فقال للفنان :

- صحيح ... ولكنني اوصيتك عليها منذ امد بعيد .
فقال الفنان بشيء من الحُبث :

- لا يجهل مولاي ، ان سيداتنا النبيلات الجميلات لا يسهل الوصول اليهن لرسمهن كل يوم ، ومنذ ثلاثة اشهر ، وافقت المركيزة على الجلوس امامي لرسمها ، على ان يتم ذلك في جلسة واحدة .

- واين هي الصورة ؟

- في غرفة الانتظار ، وسأتي بها حالاً .
فرّد الامير لو انه لا يعود ... لا يعود بالصورة

التي بات يكره صاحبها ... وما دام لا بدّ من عوده ،
فخير ان يأتيه بالصورة ، من ان يأتيه بصاحبها ...
وكاد يضحك لهذا ... كاد يضحك ... ولكنه توقف
عن الضحك ، ليفكر في ما حمله على تكليف الفنان بصنع
صورة للمركيزة ... اكان حقاً يحبها ، وجهه لها هو ما
حمله على ذلك ؟ !

ربما كان هذا ... ولكنه الآن يكرهها ... فما
عساه ان يعمل بصورتها ... اما كان الافضل ان يأتيه
هذا الفنان الاحق بصورة سواها .. ؟
وتذكر ان ثمة صورة اخرى ... صورة من تكون
هذه ... الأحدى النساء الجميلات ، وقد اراد كونتي ان
يفاجأه مفاجأة مستحبة بها ؟

سيري ...

وعاد الرسام بصورتين ، فوضع إحداها مقلوبة على
كرسي ، وعرض الثانية على الامير ، قائلاً :
— ارجو ان يلاحظ سيدي حدود الفن ، لأن الكثير
من دقائق الجمال يقع خارج حدوده .
فكان على الامير ان « يلاحظ » مكرهاً ، فقال :

- ممتازة يا كونتي ، ممتازة جداً ، والفضل في ذلك يعود الى فنك ، الى ريشتك ... ولكن فيها كثيراً من التجميل ، كثيراً جداً .

فقال الفنان بنحس :

- إن « الاصل » لا تشاطرك هذا الرأي يا سمو الامير ... والواقع انها لم تُجَمَّلْ بأكثر مما يقتضيه الفن ، والفن يرسم الصورة كما تصورها الطبيعة المجسمة - هذا اذا كانت هناك طبيعة مجسمة - وذلك بتجنب النواقص التي تصاب بها المادة الزائلة .

- هذا من مميزات الفنان المفكر ... ولكنك تقول :

ان « الاصل » لا ترتئي ذلك ؟

- عفواً يا مولاي ... فـ « الاصل » شخصية ادين لها

بالاحترام الكلي ، ولم اقل ما يحسبها بسوء .

- حسناً ... وما الذي قالته « الاصل » ؟

- لقد قالت المركيزة إنها راضية ، أن لم يكن

منظرها اقبح من ذلك .

فداخل الامير بعض الارتياح ، قال :

- اقبح ... أوه ، ايها « الاصل » الصادق .

وشجع قوله الرسام ، فقال :
- وعندما قالت ذلك يا مولاي ، قالته وعلى وجهها
ملامح لم تظهر طبعاً في الصورة .
فقال الامير مؤكداً :

- وهذا ما عنيته بقولي ... وهذا ما دعاني الى القول :
« ان في الصورة تجميلاً كثيراً » ... فانا اعرف تلك
الملامح المتعجرفة الساخرة التي من شأنها ، ان تشوه اجمل
الوجوه ، مع اني لا انكر ان السخرية على فم جميل قد
تزيد في جماله ، بشرط ألا تظهر تلك السخرية عليه بشكل
يغير ملامحه ، وان تكون العيون حارسة للفم الساخر ...
وانسى لمركزتنا الطيبة مثل هذه العيون الحارسة ، حتى في
هذه الصورة التي بذلت في تجميلها ما بذلت من عبقريتك
وفنك ؟

- اني لجد متاثر يا صاحب السمو .
- لا داعي لتأثر ... لقد اصلحت انت كل ما
يستطيع الفن اصلاحه ، من هذه العيون الجامدة الجاحظة ،
ولم تقصر ... وقل لي يا كونتي : أيستطيع المرء ان
يحكم على صاحبة الصورة وطباعها من صورتها نفسها ؟

وقبل ان يجاوبه الفنان على سؤاله ، تابع :
- هذا ما كان يجب ان يكون ، لولا انك استطعت
ان تحيل العجرفة الى وقار ، والسخرية الى ابتسامة ،
والكآبة الى اتران وهدوء .

ولم يفهم الرسام من قوله سوى انه ينتقص من قدرته
على اداء رسالة الفن ، فقال بشيء من الحدة :
- نحن الرسامين يا مولاي نجتهد في اخراج الصورة
وفق حرارة المحبين ، وفي ان تكون هذه الحرارة منسجمة
مع الحرارة التي رافقت التوصية على الصورة ... نحن
وحدنا الذين نرسم الحب في العيون ، وعيون الحب وحدها
هي التي يجب ان تحكم علينا .

- لقد كان يجب إذن ان تأتي بهذه الصورة منذ
شهر ... أبعدها ؛ وهات الثانية .

فقال الفنان ، وقد امسك بالصورة الثانية مقلوبة :

- إنها صورة امرأة ايضاً .

فبرقت امرأة الامير ، وقال :

- لهذا اريد رؤيتها ... بل الأفضل ألاّ اراها ،
فقد لا تنطبق في شيء على المثل الأعلى الذي يقيم هنا ...

او هنا ... في راسي وفي قلبي ... وكنت اتمنى
يا كونتي ، لو يتاح لي ان اجد فنك في صورة اخرى .
فقال الرسام ، وكأنه قد دخل الى رأس الامير وقلبه ،
وعاد منها بالصورة التي يحمل :

- هناك كثير من الآثار الفنية تستحق التمجيد اكثر
من آثاري ، ومع ذلك فأنا واثق بأن ليس ثمة ما يستحق
ان يجد اكثر من هذا .

وقلب الصورة ... فتراجع الامير مأخوذاً برؤيتها ،
وقال كمن لا يصدق عينه :

- ما هذه ... صورة من فنك يا كونتي ، ام من
خيالي ؟!

وهتف بما لم يتالك من كتبه :

- آميليا كالوتي !

ولم يكن على الفنان إلا ان يجاوبه في اندهاشه ، فقال :

- كيف يا مولاي ... أتعرف هذا الملك ؟

ولم ير الأمير بداً من العود الى نفسه ، فتألك ما

أمكنه ان يتالك ، وقال وعيناه عالقتان في الصورة :

- أعرفها .. بعض المعرفة .. لقد التقيتها صدفة منذ

بضعة اساييع ، وكانت برفقة أمها ، ولم أرها بعد ذلك ،
إلا في المعابد ، حيث لا يجوز التطلع .. واعرف والدها
ولكنه ليس بصديق لي ، فقد سبق ان عارض بشدة ، طليبي
في سابيونيتا أحد بقايا السيوف ، وهو ذو إباء وخشونة ،
ومع ذلك فانه طيب ووديع .

— والدها .. ولكن هذه الصورة هي لابنة .

— كأنها والله سرقت من المرأة .

وتابع وعينه لا تفارقان الصورة :

— أتعلم يا كونتي ، ان أصدق ثناء ترجمه الى الفنان ، إنما

هو ان تنسى في مثل هذا الموقف اثاره الثناء عليه ؟

فقال كونتي ، كمن يريد ان يدخل بقوله الى اعماق

الامير ، لينتزع سرّه من صدره :

— مهما يكن الامر فهذه الصورة حرمتني سعادتي ...

وانا مع ذلك سعيد بهذا الحرمان .. فنحن يا مولاي

لا نرسم بعيوننا مباشرة .. وما اكثر ما يضيع علينا في

الطريق الطويلة الممتدة بين عيوننا وايدنا وريشتنا .. ولكني

اعلم ما ضاع ومتى ضاع أيضاً ، وأنا فخور بهذا ، لأنه

يقربني كثيراً من نفسي ، ويجعلني أعتقد أنني رسام كبير

موهوب ، وأن الفضل في ذلك لم يكن دائماً ليدي .. أما ترى يا مولاي ، ان ما من شيء كان يمنع رافائيل ان يكون أكبر عباقرة الدنيا ، في فن الرسم ، حتى ولو انه وُلِد دون يدين ؟

ولم يكن يبدو ان الأمير يسمعه .. فعيناه العائقتان بالصورة ، كانت قد نقلت حسّه بأجمعه اليها ، ولكن توقف الفنان عن الكلام ، أعاده قليلاً الى الواقع ، فقال وقد حول نظره عن الصورة :

— ما الذي قلته يا كونتي ؟

فعلم الفنان أن كلمة واحدة في مثل هذا الموقف خير من ألف كلمة ، فقال :

— لا شيء يا مولاي .. سفسطة .. لقد رأيت روحك كلها في عينيك ، وأنا أحب الأرواح التي تطل من العيون .
— وعلى هذا فأنت ترى ان آميليا كالوتي من أجمل جميلات المدينة ؟

— من أجمل جميلات المدينة ؟ .. أتسخر يا مولاي ، ام أنك كنت تنظر ولا ترى ، كما انك تصغي ولا تسمع ؟
ففهم الامير ما يعني ... وراح ينظر من جديد الى

الصورة ، ويقول :

- يا عزيزي كونتي ... ليس للانسان أن يثق أبداً
بعينه ، والواقع الذي لا جدل فيه ، ان الرسام وحده
يستطيع الحكم على الجمال .

- على الشعور إذن أن ينتظر حكم الرسامين ...
ودعني اعترف يا مولاي بأن أعذب ساعات عمري ، هي التي
جلست فيها آميليا كالوتي الي ... فهذا الرأس ، وهذه الجبهة ،
وهاتان العينان ، وهذا الأنف ، وهذا الفم ، وهذه
الذقن ، وهذا العنق ، وهذا الصدر ، وهذا التركيب
كله ؛ إنه لأروع آيات الجمال الأثوي .

فقال الامير بلهفة :

- ولمن صنعت هذا الرسم يا كونتي ؟
- لقد صنعت رسمين ، لأبيها واحد ، وهذا الثاني .

- ولم تعد احداً بهذا ؟

- إنه لك ... أيعجبك ؟

فانبسط أساور الأمير اوتياحاً ، وقال :

- أرى بشري هذا المثال الكامل للجمال ويضن¹

عليه حتى بما هو أغلى من الاعجاب ؟

وأشار الى رسم المركيزة ، قائلاً :
- أما هذا فخذ ، وأوص له على إطار ، وليكن
الاطار جميلاً وثميناً ، لأنه سيعرض ... وسأحتفظ برسم
أميليا ، ليس لجمال صاحبتة فقط ، بل لأن عبقريتك
يا كونتي تتجلى في كل خط من خطوطه ايضاً ... واعيد
قولي لك : اني لن اترك الفن في إمارتي يركض وراء
الرغيف ... وعلى هذا ابعث بحسابك الى امين الصندوق ،
وليدفع لك ثمن الصورتين كما تشاء وكل ما تشاء .

وظل الامير لا يصدّق عينيه .
وتراءى له أن القدر يخدمه .
فالقدر هو الذي ألهم كونتي بجمال هذه الصورة اليه ،
بينما هو يفكر ويجهّد مخيلته في تصوّر صاحبته ، تلك
التي أوسك أن يشك في أنها مخلوق أرضي ، وأنه حقيقة
رآها وحدثها ... أكثر أن يؤدي ، الى من رسم هذه
الصورة ، وأتاه بها ، كلّ ما يشاء ثمناً لها ؟
كلّ ما يشاء كونتي .
وماذا للوالد والوالدة لو شاءا ؟

ليطلباً ...

وودّ لو يقضي نهاره في نجواه ، وفي التأمل بالجمال
الذي ملك صورته ، وبات يحلم بصاحبه بشراً سوياً ،
ينشق من اطياها ما يحدث عن عقب الجنة .
وأفضته حركة في الخارج .

وكاد يتوارى بالصورة من وجه القادم .
فهذا ولا شك مارينلي ، وقد جاء طوعاً لأمره ،
فليته لم يبعث في استدعائه ، وقضى نهاره في غمرة السعادة
التي بعثها هذه الثورة في نفسه .
ولكن الامير لا يستطيع أن يكون ابداً لنفسه ،
وعليه أن يتحمل من اعباء واقعه ، ما ليس له أن لا
يتحمل ، وليته لم يكن في تلك الساعة اميراً .
ودخل مارينلي معتذراً :

- عفواً يا صاحب السمو ... لم أكن انتظر أمراً
مبكراً ، كأمرك اليوم ، ولم اكن على استعداد للصدوع به
في السرعة الواجبة .
فقال الامير في غير عتب :

- لقد شعرت برغبة شديدة في التنزه ، وطاب لي أن

تخرج في صحتي ... لقد كان الصباح جميلاً فتناً ... أما
الآن فقد تأخرنا ولم تبق لي رغبة في الخروج ... أمن
جديد يا مارينلي ؟

فقال بنجث ولا مبالة مصطنعة :

— لا شيء يستحق الذكر سوى ان المركيزة أوزينا
عادت امس الى المدينة .

فلم يبدُ على الامير انه سمع شيئاً جديداً ، قال :
— عرفت هذا ، وقد بعثت الي بتحية الصباح ، ولعل
في رسالتها التي ترى غير التحية ، ومع ذلك فما أنا من
الرغبة على عجل في الاطلاع عليها .. أكان لك معها حديث ؟
— أأست موضع ثقتها ومعتمدها .. واذا دعيت الى
مثل هذه المنزلة من سيدة سواها ، تهبط قلبك فعلاً
يا مولاي ، ف ...

فقاطعه الامير ، قائلاً :

— لا تعد يا مارينلي .

— بلى .. كل شيء ممكن .. وما أظن أن المركيزة
على خطأ تام .

— إنها على خطأ .. لأن زواجي القريب منها يتطلب

قطع كل علاقة لي بسواها .

- على المراكيزة اذن ، أن ترضى بما قدر لها ؛ رضاك

انت ، بما كتب لك في لوحة القدر .

- أما أنا فنصيري من قسوة القدر غير نصيبها .. لأن

قلبي سيذهب ضحية لسياسة الدولة ومصالحها .. واما هي ،

ففي وسعها ان تسترد قلبها متى تشاء ، وليس عليها ان

تقدمه للمذبحة رغم ارادتها .

- تسترده .. ولم تسترده .. اسألها اذا كان الأمر

حقاً لا يخرج عن كونها زوجة ساقتها اليك السياسة ، وليس

الحب .. ان المعشوقة لتستطيع ابداً ان تجد لنفسها مكاناً

بالقرب من مثل هذه الزوجة ، لأنها لا تحشى ان تذهب

ضحية لها ، بل ل ..

- لمعشوقة جديدة .. كمثل .. أتريد ان تعتبر هذا

إجراءً مني يا مارينلي ؟

- أنا .. ارجو ألا تساويني بتلك الحمقاء ، يا سيدي

الامير ، تلك التي أنكلم بلسانها شفقة عليها ، فقد احزنتني

البارحة رغبتي في عدم التحدث اليك بأمرها ، وكانت تود

الابتعاد عنك وتركك في غير مبالاة ، ولكنها باسترسالتها في

الحديث كشفت الغطاء عن قلبها المعذب ، فكانت تعبر
عن اعتمق شعورها بالاسى ، بكلمات حائرة . وقد لجأت الى
الرسائل للتعبير عن شعورها كما رأيت ، واخشى ان تقضي
هذه الحالة الجديدة ، على البقية الباقية من صوابها .
فقطب الامير حاجبيه ، كمن لم يرقه ما سمع من رئيس
ديوانه ، وقال :

.. لقد تأثرت لها اذن .. ارجو ألا تحاول اعادتي اليها
يا مارينلي ، بالوسائل نفسها التي كانت سبب ابتعادي عنها ،
واذا كان الحب مبعثاً لجنونها ، فما لا شك فيه انها ستجن
بدون حب ، عاجلاً كان ام آجلاً .. والآن ، دعنا منها ،
ولنتحدث عن شيء آخر .

وبعد سكوت قصير لم يدر فيه مارينلي ما هو
« الشيء الآخر » الذي يريد التحدث عنه ، قال :

— اما من جديد في المدينة ؟

فتمهل مارينلي في الجواب ، ثم قال :

— أكاد اقول لاشيء ... لأن زواج الماركيز أبياني
الذي سيحتفل به اليوم لا يُعد شيئاً .
فقال الامير مهتماً :

- زواج المركيز أبياني ... ما اتاني انه يريد الزواج ..

تمن ؟

- لقد أحاط أمر زواجه بالكتمان ، لئلا تتناوله اللسان
بما لا يود ، فهو زواج عاطفي بكل ما في الكلمة من
معنى ، فالفناة التي اصطادته بشباكها ، لا لقب لها ولا مال ،
ولكن لديها الكثير من الفضائل والاحساس والمرح و ...
فقاطعه الامير ، وقد تضايف اهتمامه :

- تقول ... ويخيل اليك ان من يؤخذ بفتاة كالتي
تصف ، دون ان يعنى بالامور الاخرى ، يستدعي أمره
الشفقة ؟

ثم قال بشيء من الجدل :

- إني أعرف المركيز أبياني ، فهو شاب جميل وغني ،
وذو نفس تزخر بالشرف والاباء ... انك لا تحبه ولا
هو يحبك ... ولكن هذا لا يغير الواقع ، وكما كنت
أودّ لو اقربته مني ، وسأفعل .

فكظم رئيس الديوان غيظه ، وقال :

- هذا اذا لم يكن قد فات الاوان ، فقد سمعت ان
المركيز ، يأبى أن يفتش عن سعادته في اوساط البلاط ،

وسيمضي مع مالكة قلبه الى املاكه في «يوموت» ،
وينصرف الى صيد الطيور على جبال الألب ... وما عساه
ان يفعل أحسن من هذا ، بعد ان قضى على سمعته هنا ،
وأوصد دونه ، بزواجه غير اللائق ، جميع الابواب ؟
- جميع الابواب ... أبواب المنازل التي يسودها سلطان
العادات السخيفة ... ولكنك لم تقل لي من الفتاة التي
يضحى من اجلها بكل مذكرت ؟

- إنها تدعى آميليا كالوتي .

فأحسن الأمير كأن الارض تنهار تحته ، فغمغم :

- آميليا ... كالوتي ؟

وتابع كمن يشك في سمعه :

- لم اسمعك جيداً يا مارينلي ، فما قلت ؟

فأجاب الحبيث مشدداً في اللفظ ، كمن ابتداءً يكتشف

سراً :

- آميليا كالوتي .

فصاح الأمير بحلق يخالطه الحزن :

- أبداً .

- بكل تأكيد .

- اقول أبدا .. ليست هي .. إن هذا لا يمكن
ان يكون ... لقد أخطأت الاسم ... ان اسرة كالوتي
كبيرة ، وقد تكون الفتاة منها ، ولكنها ليست آميليا .
آميليا نفسها .

- آميليا نفسها مع الاسف .
- إذن لا بد من وجود آميليا أخرى في الأسرة ،
وقد قلت انها فتاة تدعى ... هكذا باحتقار وسخرية ...
وآميليا نفسها ، لا يذكر اسمها هكذا ، إلا كلّ أحق .
ففهم مارينلي شيئا ، وأراد ان يفهم بعد ، فقال :
- لقد خرجت عن طورك يا مولاي الامير ، فهل
لك من معرفة بهذه ال « آميليا » ؟

فمالك الامير قليلا ، ثم قال :
- من معرفة ... أما هي آميليا كالوتي ، ابنة العقيد
كالوتي ، من سايبونيتا ؟

- هي بالذات .
- تلك التي تقيم هنا في كواستالا مع أمها ؟
- بالذات .

- بالقرب من كنيسة جميع القديسين ؟

— بالذات ، بالذات ، يامولاي .

وكان الامير قد تناول الصورة المقلوبة ، فأدارها بحركة
عصية ، قائلاً :

— وبكلمة واحدة ... أهذه هي الفتاة التي قلت إن
المركينز سيتزوجها اليوم ؟

وقبل ان ينتظر الجواب ، تابع :

قل ... قل كلمتك اللعينة « بالذات » وانمدها خنجراً
في قلبي .

فقال مارينيلي بهدوء من لؤم :

— بالذات- ...

فزجر الامير زجرة من اصيب في صميمه :

— جلاد ... هي اذن ... آميليا كالوتي ... وستصبح
اليوم ...

— المريكزة أبياني .

وكان مارينيلي قد تناول الصورة وتأملها ، دون أن
يبدو على وجهه شيء من دلائل الاعجاب ، فاختطفها الامير
من يده بحدة ، وأعادها الى مكانها ، والحديث يتابع :
وستجري حفلة الزواج بهدوء ، في قرية والدها الوادعة

سابيونيتا ، وستمضي الى هناك مع والبتها والمركيز
وبعض الاصدقاء ، عند الظهيرة .

ولم يقوَ الامير على السماع الى النهاية ، فارتقى على احد
المقاعد ، قائلاً :

- قضي الامر

فقال مارينيلي ، وكأنه لم يفهم بعد شيئاً :

- ولكن ... أي شأن لك والفتاة يا مولاي ؟

فوثب الأمير كمن يريد تحطيمه صائحاً :

- يا خائن ... أي شأن لي وإياها ... إني اعبدها ...

وكان عليكم ان تعرفوا ذلك ، ، انتم الذين حملتموني على

حب أورزينا ، وأردتم ان تحكموا على قلبي بالموت إلى

الابد .

وكان كالمجنون في نظراته وقوله :

- وأنت ... انت الذي أكدت لي مراراً صداقتك ...

انت الذي محضتك ودي ، ولم أبخل عليك بكل ما أتمنى

لنفسي ؛ أتلفت ... وحتى انت لا أجذك أمامي ...

بلى ؛ ولكن لتحمل إليّ النبأ « الحنجور » الذي اغمدته

بكل قسوة في صميم قلبي .

فكان على مارينيلي ، وهو من تعودّ مقابلة العته بالحبث ،
ان يقول هادئاً :

- اكاد لا أجد ما اقله لك يا مولاي ، فانت لم
تترك لي مجالاً للتعبير حتى عن دهشتي ... انك تعبد آميليا
كالوتي ... وقسماني لم اعلم من قبل شيئاً عن هذه العبادة .
فهدأ الامير من روعه ، وقال :

- سمحاً يا مارينيلي ... سمحاً ... وأرجو ان ترثي
لحالي .

وارتمى على صدره يغالب انفعاله .

ولم يكن مارينيلي ، يجهل اميره ، وما تنطوي نفس
هذا الامير عليه ، من عواطف متقلبة ضارية ، وهو ما
قرّبه ، إلا لانه عرف في كثير من الاوقات كيف
يرضيه ، فعليه الآن ، ان يغتم الفرصة للاستزادة من
رضاه ، قال :

- لقد أخطأت يا مولاي بكتما لك سرّك عني ، أنا الذي
اتقاني في خدمتك والتفريح عك ، فكأنني بك لا تثق بعد
بصداقتي ووفائي ... وإلا ، فما معنى ان تحمل حبك المكبوت
في صدرك الى اليوم ، وحين ترى هذا الحب مهدداً

تفاجئني ، بمثل هذه الحالة المؤلمة من الانفعال ؛ بهذا السر ؟
- صدقت يا مارينيلي ... ولكن كيف تريد مني ان
ابوح لك بما لم اكن اجرؤ على البوح به لنفسي ؟
- ومع ذلك فقد بحت به لمن كانت علة آلامك هذه ؟
- لا .. لقد حاولت الاتصال بها مرة ثانية ولم أفلح
في ذلك .

- مرة ثانية .. والاولى ؟
- مرة واحدة ... وتحدثت اليها ... ولا ترهقني بعد
باسئلتك ، فما انا في حالة اقوى معها على كثرة الاجوبة ،
واذا كانت لديك من حيلة لاتقاضي بما انا فيه فهات .
- لاتقاذك .. لا حيلة .. فما لم تعترف به لأميليا
كالوتي ، يجب ان تعترف به للمركيزة ابياني ، وما لا يستطيع
المرء ان يشتريه جديداً ، يشتريه قديماً ... وليس هذا بالشيء
النادر الوقوع يا مولاي !

- تكلم بجدي يا مارينيلي ، بكل جد ، وإلا ...

- تزداد الامور سوءاً .

- لقد اصبحت قليل الحياء .

- وعلى هذا يجب ان نفكر في امر آخر .

- بم يا مارينلي ... يا مارينلي الوفي ... اما من
سبيل لانتقادي ؟

- لقد تعودت ان تقدّر مواهي يا مولاي ، ويعزّ
عليّ ان افقد ثقتك بي وتقديرك ، ولذلك ...
فقاطعه الامير كمن لا يطيق بعد ثروته :

- ان الوقت لثمين ، وانت تضيعه سدى ... ألدك
الحل للمشكلة اليوم ؟

- اليوم ... إن ما مرّ ، وحده لا يحلّ .

وبعد تفكير قصير ، تابع :

- انطلق يدي في العمل يا مولاي ؟

- إطلاقاً .

- لا تضع الوقت اذن ... عليك ان تمضي في الحال
الى قصرك الريفي في دوزالو ، فالطريق الى ساينونيتا
تمرّ به ، واذا لم افلح في ابعاد المركيز ، فمن المؤكد انه
لن يفلت من الفخ الذي سأنصبه له .

وكان يرسم خطه جهنمية في مخيلته ، ولا خوف من
الامير الذي اطلق يده في تنفيذها ... فتابع والامير
يصغي اليه ، ويبدو كأنما هو على اتم الاستعداد لتنفيذ كل

ما يأمر به :
- يجب ان تبعث رسولاً الى امير ماسّا من اجل
زواجك ، وعلى المركيز ابياني ان يكون هذا الرسول ،
وان يسافر في الحال ... اتفهمني يا مولاي ؟
فبرقت اسرّة الامير ، وقال :
كل الفهم ... ليتبعني المركيز الى دوزالو ، فانا ماض
اليها الساعة .

خرج مارينللي وبقي الامير وحده ، واراد ان يلقي
بآخر نظرة الى الصورة ، فاذا بها على الارض ... على
الارض ... لقد اساء الى صاحبته والى نفسه ، في آت
واحد ، وكمن يلتقط صورة قديسة التقطها ، ونظر اليها
نظرة واحدة ، خرجت من اعماقه ، ثم وضعها على المكتب ،
قائلاً :

- يجب ان لا اضيع الوقت بالنظر اليها ، ولن يزيدني
هذا الا تألماً ، وقد تأملت الى الآن اكثر مما في وسعي
ان احتمل .

وفكر فيما عسى ان تكون خطة مارينللي .

انه يثق بهذا الرجل ، وقد عوته الاخلاص في كل عمل
يقوم به لخدمته ، فهل يوفق اليوم الى انقاذه بما هو فيه ؟
وفكر ملياً .. وخيل اليه ان الاعتماد على مارينلي
وحده ، قد لا يؤدي الى شيء ، إن هو لم يسعفه ببادرة
طيبة ، فأية بادرة يمكنه القيام بها لذلك ؟
وتذكر شيئاً برقت له أسرته .. ففني مثل هذه الساعة
تخرج آمليدا كل يوم الى الكنيسة ، الى كنيسة الآباء
الدومينيكانيين ، للصلاة ... أفليس من الدهاء ان يلحق بها
الى هناك ويحدثها ؟

ولكن اليوم يوم عرسها ، وعندنا من الاعمال ما
يشغلها عن الخروج .. ومع ذلك فلا بأس في التجربة ،
والكنيسة في طريقه الى دوزالو ، وبضع دقائق فيها
لا تقدم ولا تؤخر ، ولعل التوفيق يكون حليفه ، ويمهد
لرئيس ديوانه سبيل النجاح في خطته .

وقرع الجرس لحاجبه ، وراح يجمع الاوراق المبعثرة
على مكتبه بانفعال ، حتى اذا دخل الحاجب قال له :
- اليّ بالمركبة في الحال ... أليس هنا احد من
المستشارين بعد ؟

— فقال الحاجب :

— السيد كاميلو روتا .

— ليدخل .

وقلب اوراقه بسرعة ، كمن يبحث فيها عن شيء ،

ولما دخل المستشار بادره بقوله :

— لا وقت عندي فاضيعه ... ما انجزت كثيراً من

الاعمال اليوم ... لك ان تنظر في هذه الاوراق وتتصرف

بحكمتك ، وليس لي ان اوصيك بسوى هذه .

وناوله رسالة آميليا برونيشي متابعاً .

— لقد وافقت على ماورد في هذه الرسالة .

وكان المستشار ينظر اليه مستغرباً حركاته ولهجته ،

ولحظ الامير تردده في الانصراف ، فقال له :

— ألدبك ما يتطلب التوقيع ؟

فقال المستشار بشيء من الرهبة :

— مرسوم بالاعدام .

— آه بكل سرور ، فهاته .

بكل سرور ... لعل الامير لم يسمع ، ولم يدرك

أي مرسوم يعني ، فقال المستشار بلهجة مريرة :

- قلت ... مرسوم بالاعدام يا مولاي .

فنظر الامير نظرة فيها كل الجد ، وقال :

- وانا قلت هاته .

فكاد المستشار يبدي امتعاضه ، الا انه تغلب على ما في نفسه ، وتظاهر بالتفتيش عن المرسوم بين اوراقه ، ثم قال :

- عفواً يا مولاي ... لقد نسيت احضاره ، فلا بأس في تأجيله الى غد .

فهزّ الامير كتفيه هزّة لامبالاة ، وقال :

- لا بأس ... اليك بما هنا من اوراق ، وانا ماض في الحال .

واسرع في الخروج .

فوقف المستشار يشيّه بنظرة يمتزج فيها الاحتقار بالالم ، وقال :

- بكل سرور .. مرسوم بالاعدام .. بكل سرور !!
كلمة بشعة ينقبض لها الصدر ، في موقف اقلّ من هذا
الموقف حراجه وهولاً ، فكيف والتوقيع الذي اطلب
يُقرّ حكم الموت على انسان ، مهما يكن الجرم الذي

ارتكبه واستحق الموت لاجله ، لم يخرج عن كونه
انساناً سحره الحياة ، والانسانية نفسها ، تقضي بأن نأسف
لمصيره .

وخرج بالاوراق وهو يردد :
- بكل سرور ... بكل سرور ...



كانت كلاوديا كالوتي سعيدة في ذلك اليوم ، تطل
سعادتها من عينيها كلما نظرت الى ابنتها آميليا ، ورأتها
تستعد لساعات عرسها القريبة ، بكل ما يزرع به صدرها
من حيوية الفتوة ؛ وتتدفق السعادة مع الدم في عروقها ،
حين تفكر بالزوج المثالي الذي بعثته العناية لهذه الابنة
المحوبة .

ولم تكن تشك في ان فرح زوجها العقيد كالوتي ، هذا
الذي عرف بشدة تمسكه بالتقاليد الشريفة ، يعدل الآن
فرحها ... فهو لم يكن يحسب ان فتى كالمركيز ايباني ،
سيصبح في يوم من الايام صهره ، لا لأن ابنته لا تستأهل
ان تكون زوجاً لهذا الفتى ، بل لان الفتيان الاشراف
في كواستالا ، لم يتعودوا الخروج عن عاداتهم القاضيه بأن
لا يتزوجوا الا من بنات طبقتهم .

والمركيز ايباني كان شريفاً بكل ما في هذه الكلمة من
معنى . ولولا هذا ، لما رضي والد آميليا بأن يصبح زوجاً
لابنته ، مهما يكن مقامه رفيعاً ، وكثيراً ما كان يقول :

« أن ابعث ابنتي الى الدير ، بل الى القبر ، قبل ان أراها متمرغة في حمأة الفساد التي يتمرغ بها أبناء تلك الطبقة المدعوة بطبقة النبلاء ، أحب الى نفسي » .

ولم تكن كلاوديا بانتظار زوجها في ذلك اليوم ، فالاتفاق كان ان تمضي والعروسين في الظهيرة اليه ، وفي سايبونيتا تجري مراسيم الزواج في جو عائلي ، وينتهي الأمر ... وما أشد ما كانت دهشتها ، عندما سمعت وقع حوافر جواد في ساحة المنزل ، ورأت زوجها مقبلاً بنشاط الفتوة ، فهرعت الى استقباله هاتقة :

- ادواردو !

فعانقها قائلاً :

- عمي صباحاً يا حبيبتي . لقد فاجأتك . اليس كذلك؟

قالت : مفاجأة سارة ، إن لم يكن ثمة سواها .

قال : لا شيء سواها .

وتابع يشرح سبب مجيئه :

- لقد ايقظني سعادة هذا اليوم باكراً ، ورايت الصباح

جميلاً ، والطريق قصيرة ، فاذا بي عندهم .

وتلقت الى ما حواليه كمن يفتش عن احد . اما هو فتابع يقول :

- ما ارى اميليا ، فأين هي ؟
- فابتسمت الام السعيدة ، قائلة :
- لقد ذهبت للصلاة كعادتها .
- للصلاة ... وحدها ؟
- الكنيسة قريبة ، ولم تشأ ان تستقبل حياتها الجديدة ،
إلا برضى الله .
- هذا حسن ... ولكن الطريق الى الكنيسة على
قصرها لا تخلو من اخطار .
- انك تغالي ... وارك تعباً ، فيها تناول معاً
بعض المنعشات .
- وكان ذهاب اميليا الى الكنيسة وحدها كان يقلقه ،
فقال :
- كان يجب ان لا تدعيها تخرج وحدها .
- قلت وهي تجذبه الى الداخل :
- لا عليها ... هيا .
- وقالت للخادم الذي كان قد هرع بدوره لاستقبال
سيده :
- ابق هنا يا بييرو ، واعتذر لكل من يأتي اليوم

لزيارتنا ، فلا وقت لدينا لاستقبال احد .

ما كاد الزوجان يدخلان الى المنزل ، ويبقى بييرو وحده عند الباب ، حتى بدا له رجل يخفي وجهه بقبعته وقبة معطفه ، وهو يتقدم بحذر منه ، فقال في نفسه :
- من يكون القادم الغريب هذا ؟

وكان الرجل قد اصبح قريباً منه ، فتطلع ذات اليمين وذات اليسار حذراً ، ثم انزل قبة معطفه وظهر وجهه ، فهتف بييرو بدهشة وقلق :
- آنجلو ... انت ؟

فرفع الرجل سبابته الى فمه ، قائلاً :
- صه ... لقد طوفت حول المنزل كثيراً لألتقيك
واقول لك كلمة واحدة .

فقال بييرو والقلق مستحوذ عليه :
- ولكن ... كيف تجرؤ على الظهور ، بعد ان هدير دمك ، منذ جنائتك الاخيرة ... اما تدري بأن مكافأة وضعت لمن يأتي بك حياً ام ميتاً ؟
فابتسم الشقي بحيث ، وقال :

- انطمع بهذه المكافأة ؟
- فلم يتالك بييرو من اظهار تبرمه ، قال :
- ارجوك .. لا تكن سبباً لتعاسي .. ماذا تريد ؟
- فاخرج آنجلو كيساً مملوءاً بالنقود من جيبه ، وقال :
- لقد اتيتك بهذا .. انه لك .. انسيت سيدك الالماني ..
- فقاطعه بييرو وقد امتقع وجهه :
- اسكت .
- سيدك السابق .. الذي قدته الينا على طريق ييزا ؟
- اسكت قلت لك .
- لقد تطف وتترك لنا خاتماً ثميناً ، وهذا نصف ثمنه ،
- حقك .. اما تأخذه ؟
- لا .
- فتظاهر آنجلو باعادة الكيس الى جيبه قائلاً :
- كما تشاء .
- ولكن بييرو لم يقوَ على ابعاد شيطان الطمع كثيراً ،
- فقال :
- طيب .. لا بأس .. هات .
- وبعد ان بات الكيس في يده ، تابع :

- والان ماذا تريد .. اتكون قد أتيت لمجرد القيام
بهذه البادرة الطيبة ؟

فقال آنجلو متكلفاً لهجة الجدّ :

- أتشك .. مع انك تعرفنا جيداً . فنحن ما تعودنا
إلا الانصاف ، وسوانا ممن ينعتون انفسهم بالامناء يهضمون
الحق .

وهمّ بالمضيّ ، قائلاً :

- الى الملتقى .

ولكنه عاد ثانية ، وقال لبيرو :

- سؤال بعد ... لقد علمت ان العجوز كالوتي قد
عاد الى المدينة ، فما دعاه الى هذا ؟

فقال بيرو :

- لا شيء .. لقد جاء متنزهاً ، وستكمل ابنته اليوم
على المركز ابياني ، في سايبونيتا حيث يقيم ، وهو يود
استعجال الأمر .

- وسيرجع بعد قليل ؟

فقطع بيرو الى ما حواليه قلقاً ، وقال :

- انك تطيل البقاء ، وقد يرآك هنا ... أتفكر

بالاعتداء عليه ؟

وتابع بلهجة المخدّر :

- لا تنس من هو .

فقال آنجلو :

- لا انسى ، وانا بمن عملوا تحت لوائه ، ولو ان من

وراء الاعتداء عليه فائدة لـ ... ولكن ، حتى يلحق به

العروسان ؟

- في الظهيرة

- وسيرافقها جمع كبير طبعاً ؟

- كلا ، فقد تقرر ان يقتصر الموكب على الام والابنة

والمركيز ، وسيحضر الاكليل بعض الاصدقاء من سايونيتا

كشهود فقط .

ففكر آنجلو قليلاً ، ثم قال :

- ومن من الخدم سيرافقهم من هنا ؟

- انا واثنان آخران .

- انت ؟

- سأقدم المركبة بجوادي .

- هذا حسن .. وفي مركبة من سيمضون ، مركبتكم

ام مركبة المركيز ؟

- مركبة المركيز .

- هذا سيء ... اذن سيكون هناك فارس اخر ،

وحوذي قويّ الساعد .

فلم يتالك بيرو عندئذ من اظهار دهشته ، قال :

- لقد اجبت حتى الان على اسئلتك الكثيرة ، فبقي

ان تقول لي : ما وراء هذه الاسئلة ؟

ولما لم يجبه الشقي بسوى ابتسامة خبيثة ، قال :

- ان الحلّى التي ستزين بها العروس لا تستحق المغامرة

التي تفكر في الاقدام عليها .

فقال اللعين بلهجة من تعودّ الاقدام على المغامرات :

- ولكن العروس تستحقها .

فهتف بيرو ، وقد فهم قصده :

- العروس ... وتريد ان اكون شريكك في جريمتك ؟

فضحك آنجلو بلوّم ، وقال :

- كلا ... لقد قلت انك ستكون فارس المقدمة ،

فكل ما ارجو منك ان تستمر في سيرك ، وان لا تلتفت

الى الوراء ، مها يحدث في الطريق .

وهال الخادم ما سمع ، فقال بشيء من الحزم :

- لا يمكن ابداً .

- لا يمكن .. ابداً .. تريد اذن ان تمثل دور

صاحب الضمير ؟

وتابع الشقي بلهجة ملؤها التهديد :

- اظن انك تعرفني معرفة كافية .. فاذا ما تكلمت ،

او وقفت موقفاً واحداً ، غير الذي وصفت ..

فقاطعه بييرو راجياً :

- ولكن يا آنجلو ..

ولكن آنجلو ابى الاصفاء الى رجائه ، فقال واضعاً

حداً للجدل :

- اصنع ما بدالك ، وحذار ان التقيك .

ومضى لا يلوي عليه ، وكان بييرو يرتجف قهراً

وخوفاً ، فقال في نفسه :

- يا له من شقي مجرم .

وفكر اولاً في إطلاع سيده على امره ، ولكن ...

كيف يفعل ... كيف يفضحه ، وقد كان هو نفسه من

شركائه في جرائمه ؟

لقد ساق اليه في الامس سيده الالماني ، وهذا الكيس
الذي « لم يرفضه » ثمن خيانتة ، والعدالة تطارد الشقي ،
بعد ان هدرت دمه ، افلا يكون بتسليمه للعدالة كالباحث
عن حقه بظلفه ؟
مشكلة والله ..

استراح ادواردو ، وتناول شيئاً من المنعشات مع
امراته ، وآماليا لم تعد بعد من الكنيسة ، فقال :
- لقد تأخرت .

وهم بالعود من حيث اتى ، فقالت له كلاوديا :
- برهة اخرى يا ادواردو .. اما ترى انها ستتألم لمجيئك
ورواحك دون ان تراك ؟

قال : عليّ ان اعرج على المركز في طريقي ، فأنا
أكاد لا اقوى على انتظار الساعة التي سيصبح فيها هذا الفتى
النبيل المثالي ، صهري .

ثم تابع معجباً :

- كل شيء فيه يحملني على الاعجاب به ، وبخاصة عزمه
على هجر هذه المدينة ، والاقامة في قرية آبائه واجداده .

- انه مثلك يهوى العيش في القرية .

- ولا يخطيء .

- ولكن قلبي يتفطر أسي ، كلما فكرت في اننا

سنفقدنا ، ابتنا الوحيدة المحبوبة .

- سنفقدنا ... لا افهم كيف .. لأنها ستعيش في

احضان الحب ، بعيداً عن جو هذه المدينة الموبوءة بالمفاسد؟

ثم قال :

- لا تحاولي ان تشتري سرورك بسعادتها ... ثم

لا تنسي انك انت التي آثرت البقاء بها هنا ، بعيداً عن

الزوج والوالد اللذين تحبان ، رغبة في ان توفرى لها اسباب

هذه السعادة .

وشعرت كلاوديا بعتب في لهجته ، فقالت :

- على رسلك يا ادواردو ... ان كرهك للمدينة وبلاطها

يعود بك ابدًا الى العتب .. لقد بقيت بابتنا هنا لاسعادها ،

اجل ، ولولا ذلك ، لما كان لها ان تحظى بفتى كالمرکز

الذي استأثر باعجابك ، وانا لا أتألم لبعدها العاجل عني ،

لأستري سروري بسعادتها ، وإنما أتألم لان عاطفة الام هي

التي تفرض عليّ ذلك .

فابتسم ادواردو متلطفاً ، وقال :

- وعاطفة الاب تفرضه ايضاً .. وانا جدد سعيد بأن
تكون نتيجة بقائك هنا ، قد جاءت وفق رغبتك ، وهذا
من حسن حظ ابنتنا التي لم يكن لنا من هم ، سوى إحسان
تربيتها .. واما التألم لبعدها ، فهذا ما اود ان يتغلب
عليه ، ارتياحنا الى بعدها عن هذه المدينة .

وكان « المدينة » هذه ، كانت « ججيمة » فعادت اليه
لهجته الحادة القاسية لذكرها ، وتابع :

- وما يدعو المريكز بعد الى البقاء هنا .. أليحني رأسه
في كل ساعة متذللًا ، ويخف على ركبتيه ارضاء لما رينلي ،
ام لينال شرفاً ليس بالنسبة اليه ، شيئاً من الشرف ؟

وكان قد وقف بهمّ بالمضي ، فنادى خادمه ، وقال له :
- اسبقني بالجواد الى منزل المريكز ، وانا لاحق بك اليه .
وعاد الى حديثه ، متابعاً :

- لم يبق المريكز هنا .. لم يبق ما دام يستطيع
ان يكون هناك آمراً مطاعاً ، لا مأموراً مطيعاً .. ثم ألا
تحشين يا كلاوديا ، ان يكون زواجه من ابنتنا ، مدعاة لتوتر
العلاقات بينه وبين الامير ، بالنظر الى الكره الذي يكنه

الامير لي ؟

- لا ، ليس الى الحد الذي تخشى .

- انا لا اخشى شيئاً .

- اقول هذا .. اما سبق واعلمتك بان الامير التقى

ابنتنا ؟

فهمت ادواردو بدهشة يخالطها الذعر :

- الامير .. التقى ابنتنا .. متى ، واين ؟

- في الطريق ، يوم الاحتفال بالعيد الاخير ، وكان

جدّ لطيف في تحدّثه اليها .

- جد لطيف .. في تحدّثه اليها ؟

- اجل ، وكان يبدو وكأنه قد فتن بنشاطها ومرحها .

- فتن .. بنشاطها ومرحها ؟

- ولم يدع كلمة ثناء الا اسبغها على جمالها .

فصاح ادواردو غضباً :

- كفى .. اتروين لي هذا كله ، وانت مرتاحة

يا كلاوديا اليه ؟

وصرف باسنانه متابعاً :

- يا لك من ام ساذجة ؟

- فقالت متأثرة :

- وفيمَ ذلك يا ادواردو ؟

فهز رأسه هزّة اسف وغم ، وقال :

- حسن ... وهذا ايضاً بما انقضى ومرّ .. لقد كان

يجب ان يشك هذا السهم ايضاً في صدري .. خليع فاسق

يثقي على جمال ابنتنا .. كلاوديا .. ان مجرد التفكير في

هذا ، يثيرني .. لقد كان عليك ان تخبريني به في حينه .

انني لا اؤخذك على هذه الهفوة اليوم ، وقد اعود

الى محاسبتك عليها .

وخرج متألماً ، بعد ان قال لها :

- الى اللقاء .. اتنى وصولكم الي بالسلامة .

لم تكن كلاوديا تجهل زوجها ، هذا الرجل الطيب

القلب ، والذي كان لطيفته يكره كل ما ليس فضيلة ،

ويرى في المجتمع الذي ابتعد عنه بؤرة فساد ، ويفاخر

انه قد عرف هذا المجتمع ، ووجد السبيل السوي

الى العيش بعيداً منه .

وكما وجد هو هذا السبيل ، يعتقد ان في استطاعة كل

من ينهج نهج الفضيلة مثله ، ان يبحث عنه ؛ وان يجده .
وما سعادته اليوم بالمرکيز ، الذي سيصبح عما قليل
صهره ، إلا لأن هذا الصهر الكريم ، سيهجر مثله المدينة
وبلاطها ، ويروح الى الريف الهاديء الوادع الذي هو في
نظره ، ملجأ الفضيلة ووطنها الأول .

لعله مخطيء ، ولكن كلاوديا ترى - بينها وبين نفسها -
انه غير مخطيء ، في نظره الى الامير .. فهذا الشاب
الخليع يثير - حتى بابتسامته ، لأية امرأة - الشكوك ..
وهي لا تجهله .. ولكن الفينة التي تحدث فيها ، الى ابنتها ،
لم تكن في شيء ، من اويقات العبث والمجون ، وقد
كانت هي حاضرة وشاهدة ، فلا مجال اذن للغضب الذي
اثارته روايتها البريئة ، في نفس زوجها ، هذا الزوج
المحبوب .. يا ويلها من فضيلته وعفته وطيبه قلبه .

وكانت بدأت تقلق لتغيب آميليا .

وكادت مخاوف زوجها تنتقل اليها ، عندما أقبلت الفتاة
الهائجة الرصينة ، وقد اخذتها رجفة من القلق والاضطراب ،
واندفعت نحوها ، قائلة :

- الحمد لله .. لقد وصلت . اتراه يلحق بي الى هنا ؟

وراع الوالدة اضطرابها ، فقالت :
- مَنْ .. مَنْ ذا الذي يلحق بك ؟
ولما لم تجبها ، تابعت بقلق :
- ما بالك تنظرين الى ما حواليك خائفة مضطربة ؟
فقالت الفتاة ، والدموع في عينيها :
- رباه ... أكان عليّ ان امضي الى بيت الله لأسمعه ..
لأنصرف عن مناجاة ربي ، الى التفكير في وقاحته وصفاقة
وجهه ؟
وارقت على صدر امها باكية :
- يا للخطيئة .. في الكنيسة .. امام بيت القربان ..
أسمع احد بمن ارتكب هذه الخطيئة الكبرى مثله ؟
وكان الجزع قد بلغ اشده في نفس الام ، فقالت :
- وبعد يا آميليا .. من الذي تجرأ على ارتكاب
الخطايا في بيت الله ؟
فهدأت الفتاة من روعها قليلاً ، وقالت :
- كان يجب ان تكون صلاتي اليوم اعمق منها في اي
يوم اخر ، ولكنها وأسفاه كانت اقل حرارة بكثير
مما يجب .

- ليس في قدرة الانسان يا ابنتي ان يصلي ابداً كما
يريد ، وكما ينبغي ان تكون صلاته ، ومع ذلك فالنية
الصادقة المجردة ، تكفي لترفع الصلاة الى الله .
- ولكن من اراد الخطيئة فقد اخطأ .
- هذا صحيح .. وفي يقيني ان ابنتي آميليا لم ترد
الخطيئة ابداً .

- لا ، يا اماه .. لقد وقاني الله شر هذه العثرة .
- هدي روعك اذن ، وقصي علي قصتك .
وفكرت الفتاة لحظة ثم قالت :

- ما كدت اصل يا امي الى الكنيسة ، واركع امام
المذبح ، وقد هيأت افكاري للارتفاع بها الى الله ، حتى
شعرت بوجود امرى يركع خلفي مباشرة ، وعلى مسافة
قريبة جداً مني .. ولم يكن لي ان اتحرك ، وان ابتعد
من مكاني ، لئلا أثير الشكوك حولي ، واصرف افكار
الاخرين عن الصلاة .. وما هي الا لحظة ، حتى طرق
مسمعي همس ، واسم ليس لأحد القديسين ، ولكنه
كان .. عفواً يا اماه .. اسمي .. اسم ابنتك .
وانفجرت بالبكاء متابعة :

- ألا ليت السماء صعقتني قبل ان اسمع هذا الاسم ،
وقبل ان اعرف صاحب الشفتين اللتين همسته .. لقد كان
الشقي يتكلم ويتنهد .. كان يصف الجمال ويشكو الهوى ..
كان يتألم زافراً : « إن هذا اليوم الذي ستم فيه سعادي
هو اليوم الذي سيكتب له الشقاء فيه الى الابد » ...
وتنادى في شكوى هواه .. وكان عليّ ان اصغي مكرهة
اليه .. وكم قنيت لو أصبت في تلك اللحظة بالصمم الابدي ،
وارتفعت بالصلاة الى الله من اجل ذلك ، وكانت الصلاة
تصعد من عمق اعماقي ، ولكن .. لحكمة ما ، لم يستجب
الله الي .. وكان لا بدّ لي في الاخر من العودة ، فوقفت
أهمُّ بالانصراف ، وانا ارتعش خوفاً من رؤية الشقي ،
ذاك الذي انتهك حرمة بيت الله ، واراد ان يجعل من
هذا البيت مباءة لعبثه ومجونه ، واذا بي وجهاً لوجه
أمامه .

وأطلقت من صدرها الزفرات ، فهتفت الام والجزع
مستولٍ عليها :

- ومن كان ؟

- آه .. احزري يا امي .. لقد كان هو ، هو نفسه .

- هو من ؟

- الامير ..

الأمير .. الامير .. لقد صدقت ظنون ادواردو ،
وكاد يكون نبياً بمخاوفه .. فما الذي يريده ذلك الامير
الخليع الشقي ، من ابنتها العفيفة الطاهرة ؟
وكاد يحزن جنونها .

ولكنها تمالكته ، وقالت لها متلطفة :

- خففي عنك يا ابنتي .. واحمدي الله على ان أبائك لم
ينتظر رجوعك .

فقالت الفتاة مستغربة :

- وهل كان ابي هنا ؟

- اجل .. وكان يود ان يراك ، وحين استبطأك عاد
ادراجه ، فالحمد لله على انه لم يسمع قصتك .

- وهل أتيت يا امي ما يستوجب غضبه ؟

- كلا ، يا ابنتي .. ولكنك لا تجهلين طبعه ، فهو
يبني من الحبة قبة ، حين يكون ثمة ما يتعلق بالشرف ،
وقد يحمله الغضب على ما لا تحمد عقباه .. وبعد ...
ماذا جرى ؟

— لقد فوجئت يا امي ، فخانتني شجاعتي ، ولم اقو
حتى على النظر اليه ، فلذت بالهرب .
— ولحق بك ؟

— لم اشعر بذلك اولاً ، حتى أحسست يداً تمسك بي ،
وكانت يده .. ولم يكن في وسعي المقاومة ، ولا الاستمرار
في السير ، فتوقفت .. واخذني دوار .. فما عرفت ما قال
لي وبما اجبته .. ولا عرفت كيف أفلت في الآخر منه ،
ولا كيف وصلت الى هنا ، وانا اتساءل الى الان عما
اذا كان لا يزال يجد في اثري .
فكتمت الام قلقها ، وقالت :

— لقد كان وهماً تصورك ، اكثر منه حقيقة .. ويا لمنظرك
عندما دخلت علي .. وإني لأحمد الله مرة ثانية ، على ان
أباك لم يكن هنا ساعة دخولك .. وعلى كل اعتباري هذا
الحادث كأنه لم يكن .

— ولكن المريكز .. اما يجب ان يعرف هو الآخر؟
— لا داعٍ لذلك .. لا ترعجيه لأمر نافه كهذا .. إن
السم الذي لا يقتل حالاً ، لا يبطل ان يكون سماً ، له
خطره في المستقبل ، والشيء الذي لا يسيء الى العشيق ، وقد

يجد هذا لذة في الاطلاع عليه ، لذة التفضيل له على منافس ،
يسيء دون شك الى الزوج .. على ان العشيق نفسه ، اذا
هو خشي تغلب آخر عليه ، قد ينقلب الى وحش خطر .

— سلمت لي يا اماء ، وانت تعلمين مدى حرصي على
الاستفادة من تجاربك ونصحك ، ولكن .. ما عسى ان
يكون من امر المراكز ، فيما لو سمع الخبر من الغير ؟

— قد يسمع الخبر ، وقد لا يسمعه .. أليس الخير في
افتراض السلب ، والتوقف عند هذا الحد ؟

— اذا كانت هذه ارادتك فلا بأس .

وكانت آميليا قد استعادت هدوءها ، فتابعت قائلة :

— لقد كنت جبانة .. اما كان علي ان اسلك غير

هذا السلوك ، وان لا اتسامح بشيء ؟

فقالت الام مؤيدة :

— هذا ما كان يجب ان تعلمي .. ان الامير رجل

اجتماعي ، «رجل صالونات» ولا يرى بأساً في ما وجه اليك

من حديث ، وانت لم تنعودي سماع الاحاديث الاجتماعية

الجوفاء ، فهي في الغالب تافهة ، ولا تعني بمجموعها شيئاً .

— شكراً لك يا أمي .. لقد جلوت الهم والخوف عني ،

وأرى الان رأيك في الكتان ، فقد يسيء المراكز الظن
بي ، ان انا اطلعت على ما جرى ، وربما نسب الامر
الى الغرور ، اكثر منه الى الفضيلة .

وقبل ان تتم جملتها ، طرق آذانها وقع اقدام ، فقالت
وقد عاودتها الطمأنينة :

— هذا وقع خطواته .

ولم يكن القادم في الواقع سوى المراكز نفسه .

لقد كان المراكز ابياني كما وصفناه من قبل ، من طبقة
النبلاء المحافظين على تقاليدهم ، والناظر اليه لا يشك في انه
لا يتصنع النبل ، فالنبل كل النبل ، كان في طبعه ونظراته
وحرركاته وحديثه .

دخل مطرقاً ، فاعترضته آميليا قائلة :

— كنت اتوقع قدومك ، ولكن .. ليس بمثل هذا
التجهم والعبوس ، فكأنني بهذا اليوم لا يستحق منك القليل
من البهجة والمرح .

فتكلف المراكز الابتسام قائلاً :

— بل انه يستحق اكثر مما يستحق حياتي كلها ..

وقد تكون السعادة التي أحسها هي نفسها السبب في ما
تسمينه تجها وعبوساً .

ولحظ وجود الام ، فأنحى لها معذراً :
- عفواً يا سيدي .. وكل احترامي بعدُ لمن سيكون
لي قريباً شرف التحدث اليها ، بما هو اكثر دلالة على الود
والقربى .

فقال كلاوديا ووجهها يطفح بالبشر :
- ان ما تعدّه شرفاً لك هو في الواقع فخر لنا .
وغمرت آميليا بنظرة تطفح بالحنو ، وتابعت :
- ما اسعدك يا ابنتي .. اما كان يجب ان يبقى
والدك ويشاركنا غبطتنا وسعادتنا ؟
فقال المريكيز :

- لقد مرّ بي منذ بوهة وتعانقتا ... فيا له من رجل
يا آميليا . انه مثال حي لفضائل الرجولة الكاملة . ان
تفكيري وعملي لا يمكن ان يسموا الى القدر الذي سما
اليه . أستحق ان اصبح ولدًا له - وانا دونه رفعة نفس -
وبالتالي زوجاً لك ايها العزيزة ؟

فكتمت الفتاة اغتباطها بما سمعت ، وقالت :

- كنت اود لو انه انتظر عودتي .

- لم يشأ ان يزججك بزيارته الخاطفة .

فقال الام :

- كان يتوقع ان يراك منهمكة بالتزين .. وارى ان

الوقت يمر سراعاً ، والى الآن لم نعمل شيئاً ، فهيا
يا آميليا .

وفهم المركيز ما تعني ، فقال :

- لا داعي يا سيدتي ..

فقاطعت قائلة :

- أتريد ان تمضي بها الى الهيكل هكذا ، دون

اية زينة ؟

فابتسم الفتى النبيل العاطفة ، وقال :

- من ذا الذي ينظر الى آميليا ، ويؤثر ان يراها

متزينة ، على رؤيتها هكذا بخلقتها الطبيعية ؟

فتدخلت آميليا قائلة :

- لا يا مركيزي العزيز .. سأزين ، ولكن بمقدار ،

وفي اقل من بضع دقائق ، ولا شيء من الحلى هدية نبلك

وحبك ، فهذه كلها كلا شيء لو لم تكن منك ، وقد

رايتها ثلاث مرات في الحلم .

- آه ... لم تخبريني بهذا من قبل .

- رأيت ، وقد تحليت بها ، ان كل حجر فيها قد

تحول الى لؤلؤة ... اصحيح يا اماء ، ان الآليء في

الاحلام تفسر بالدموع ؟

فقالت الام مطمئنة :

- يا لك من طفلة .. ان تفسير الحلم ، وهم كالحلم نفسه .

الم تفضلي الآليء على الاحجار الكريمة ؟

- طبعاً .

وكان المركيز قد عاد الى اطرافه وتفكيره ، فردّد

قول الفتاة :

- تفسر بالدموع .. تفسر بالدموع ..

فقالت آميليا قلقة :

- اتعتقد انت ذلك ؟

- اجل .. واني لأخجل بهذا الاعتقاد ، ولكن ما حيلة

المرء في مخيلته ، حين تتجه بقوة نحو عرض الصور المحزنة؟

- ولم تتجه هذا الاتجاه ؟

وارادت ان تغير مجرى الحديث ، فقالت متدلة :

- اسمع .. اتذكر ماذا كنت ارتدي ، وفي اي
حال كنت ، عندما رأيتني واعجبت بي اول مرة ؟
قال وقد سرّني عنه قليلاً :
- اذكر .. بل اني اراك ابدأ ، وما اودّ ان اراك
مرة ، إلا كما رأيتك في تلك المرة .
- اذن .. ثوب من اللون نفسه ، ومن الحياطة نفسها ،
فضفاض طليق .
- ممتاز .
- وشعري ؟
- بامعانه الاسود العميق ، وبالتجعدات التي اسبغتها
الطبيعة عليه ، وكفى .
- لا تنس الوردة التي كانت تزينه .. تماماً .. قليلاً
واعود اليك .

- ما انصرفت الفتاة بزهوها ، حتى عاودت الكتابة المراكز ،
فقال :
- الآليء تفسّر بالدموع .. اما للدقيقة ان لا تستحيل
الى سنة في نفوسنا ؟

وكانت كلاوديا تراقبه باهتمام ، فقالت :

- لقد كانت ملاحظات آميليا صحيحة بقدر ما كانت
سريعة ، فأنت اليوم اكثرتجها منك في اي يوم آخر ،
في حين انك امام خطوة واحدة من تحقيق أمنيتك ...
أأنت نادم على ما فعلت ؟

فتأوه الفتى النحيل قائلاً :

- آه ، يا امي .. لا يخامرُك الشك فيَّ .. إني
مكتئب ، اجل ، ولكن هذا لا يعني الندم ، بل هو
نتيجة لاحساس في نفسي غريب .. فأنا ارى ان التقدم
الى الغاية ، وعدم التقدم امام ما احسّ ، سواء .. ومنذ
البارحة احاول تفسير هذا الاحساس ولا استطيع .

- إنك تقلقني يا حضرة المربي .

- وانا بعدُ غاضب على نفسي ، لأنني غضبت على اصدقائي .

- كيف ؟

- لقد ألحّ علي الاصدقاء بضرورة اطلاع الامير على
زواجي ، وهم يعترفون بأنني غير ملزم بذلك ، ولكن
اللباقة والتقاليد ، تقضي بان لا اتجاهل وجوده ، وكنت
ضعيفاً امام الحاحهم ، فوعدتهم بأنني سأفعل ، وعلي ان

في بوعدى .

فامتقع وجه كلاوديا قليلاً ، فقالت :

- اذن .. ستواه .

وما اتمت قولها حتى اقبل الخادم يقول :

- إن رئيس الديوان مارينلي يسأل عن حضرة المركيز .

مارينلي !.. ان هذا الرجل ، في مقدمة الذين ، من

اجلهم ، كره المركيز البلاط ، وقاطعه !

وكان مارينلي قد دخل في اثر الخادم ، فقال لكلاوديا :

- عذراً يا سيدتي .

ثم التفت نحو المركيز ، وقال له :

- اني آت من منزلك يا سيدي المركيز .. ولدي

مهمة عاجلة لك ، فاذا شئت سيدتي .. ان المهمة خاصة ،

وبضع دقائق كافية لاطلاع المركيز عليها .

فحنث كلاوديا رأسها وخرجت ، وكان المركيز ينظر

الى الرجل الذي يكره ، ويتساءل عن المهمة التي لديه ..

اما تكون من « المهمات » التي امتاز هذا الرجل بتدبيرها ،

لارضاء مولاه الذي مرّغ بالتراب نبه ؟

ولما بات واياه منفردين ، قال له :

- هات ما عندك .

فتصنع مارينلي لهجة الرسول الامين ، وقال :

- اني هنا بأمر صاحب السمو .

- وبمَ يأمر سموه ؟

- وشرف لي ان اكون رسوله اليك .

- وبعد ؟

- ان المركيز ابياني لا يريد ان يسلم باني من اصدقائه ،

ومع ذلك فقد اتيت لأبرهن له على صداقتي .

- ارجو ان تتكلم بدون مقدمات .

- كما تشاء .. يريد سموه ان يبعث معتمداً من قبله

الى امير ماسا ، بمهمة تتعلق بقرانه من صاحبة السمو

الاميرة ابنته ، وبعد ان استعرض الشخصيات اللائقة لذلك ،

وقع اختياره عليك .

- عليّ انا ؟

- وهذا .. ولا تبجح يا حضرة المركيز ، إنما كان

بتدخلني وشوري عليه .

فظاهر المركيز بالارتياح الى ما سمع ، وقال :

- لا أدري كيف أشكر .. لقد كنت قطعت الامل
من رضى الامير ، ومن عوده الى استخدامي .

فقال مارينلي ، وقد خدعته لهجته :

- لقد أكد لي سموه انه كان ينتظر الفرصة المناسبة
لذلك ، وقد سنحت الفرصة الان ، والمهمة على سمو قدرها
اقل بكثير مما يليق بالمركيز ايباني ، ولكنها في اي حال
دليل على صدق المودة التي اكنها له .
- على .. صدق .. المودة ..

وتابع المركيز متهمكماً :

- أريئس الديوان مارينلي يقول هذا ؟
وكان على مارينلي ان « يتثعلب » ما استطاع فقال :
- اني اعترف بخطأي يا حضرة المركيز .. فأنا اسعى
لكسب صداقتك دون استئذانك .. وما الداعي بعد لكل
هذا .. ان الشرف الذي اولاك الامير لا يقلل الشك ؛ من
قدره ، وما اخالك الا متلقيه بالحرارة والشكر .

فغمغم المركيز كاتماً حقيقة شعوره :

- على كل حال .

- اذن ، هيا بنا .

- الى اين ؟
- الى دوزالو ، فسموه بانتظارك هناك ، ولا بد من سفرك اليوم .
- اليوم ؟
- الساعة ، فالأمر جدّ ملحّ .
- اذن .. يؤسفني رفض الشرف الذي اراد الامير ان يخصني به .
- فانتفض مارينللي كمن لم يكن يتوقع مثل هذا الرفض ، وقال :
- كيف ؟
- لا استطيع السهر اليوم ، ولا غداً ، ولا بعد غد .
- أتمرح يا حضرة المركيز ؟
- معك ؟
- معي ، لا بأس .. اما اذا كان مع الامير ، فأخشى ان ينقلب المزاج مأساة .
- ثم قال ، كمن يريد جواباً نهائياً :
- ألا يمكنك السفر ؟
- فأجاب المركيز حازماً :

- لا ، وارجو ان يقبل الامير عذري .
- واي عذر لك ؟
- أوه .. عذر تافه .. فأنا سأتزوج اليوم .
- وكان مارينيلي قد استعد مقدماً على الرد ، فقال :
- هذا حسن .. ثم ماذا ؟
- ثم ماذا .. ابعد سؤالك هذا من سداجة ؟
- يمكنك ألا تتزوج اليوم .
- آه ؟
- أما من حفلات زواج تؤجل ، وبخاصة اذا كانت
في تأجيلها رضى سموه ؟
- فلم يتالك المراكز اذ ذاك من الجهر بما يداخله من
شعور نحو الأمير ، فقال :
- رضى سموه .. ولكن الامير ليس من السادة الذين
يرغب المرء في كسب رضاهم بالتضحية ، ومع ذلك فأنا
افهم ان تكون انت شخصياً ، ملزماً بامثال اوامره ، واما
انا .. انا ، لست عبداً في بلاط الأمير ، ولا ينس سموه
ان مثل هذا الحاطر لا يجوز ان يخطر له .
- يجوز او لا يجوز .. اليس هو السيد الأمر ؟

- لا داعي للجدل .. بلغ الامير ما سمعت ، وأسفي شديد .. فالسعادة التي انا وإياها اليوم على موعد ، تضطرنني الى رفض عطفه السامي ...

- ولا ترى موجباً لاطلاعه على اسم الفتاة التي ستصبح رفيقة عمرك ؟

- ليس هذا بسرّ ، فهي فتاة هذا المنزل ، آميليا كالوتي .

- أحم ..

- ماذا ؟

- ليس ما يمنع اذن تأخير مراسيم الزواج .

- ليس ما يمنع ..

- فالوالدان الطيبان لن يترددا في الموافقة على ذلك .

- الوالدان الطيبان ..

- وتبقى لك آميليا .

وكان الحبيث يتكلم وفي لهجته السمجة ما حمل المكينز

على الغضب ، فقال بلهجة من يريد وضع حد لسماعته وخبثه :

- أتدري انك تشبه القرد بجركائك ؟

فانتفض مارينللي « للاهانة » وقال :

— أنا ؟

— أنت .

فتراجع رئيس الديوان ، وقد امتنع لونه ، قائلاً :

— لا بأس .. وسنلتقي .

فضحك الماركيز ، وكال له الصفة الثانية ، بقوله :

— والقرود يضحك حقاً .

— يا للعنة .. الترضية يا ماركيز الترضية .

— لك الترضية التي تشاء .

وتأهب الماركيز « لترضيته » .. فالبراز مع هذا

الرجل لا شرف فيه ، ولكن خبثه وسماحته يفرضان وضع

حدّ له ، واذ رآه يتردد في تلبية الدعوة ، قال :

— ما بالك تتردد ؟

فجرض مارينلي بريقه ، وقال :

— لقد كنت اودُّ ان أفعل الآن ، ولكنني لا أريد

ان احرم « العريس » العسادة التي يتبها لها ، والأيام بيننا .

فضحك الماركيز ضحكة ساخرة ، وقال :

— ما أطيبك .. ومع ذلك فقد أردت إبعادي الى

ماسّا .

وأمسكه من يده ، وتابع :

- اما الى ماسّا فالدرب بعيدة ، واما الى « الترضية »
فما هي الا خطوات الى الخارج ، ومن بعدها بضع دقائق .

فأفلت مارينللي منه ، قائلاً :

- الآن لا .. وسنلتقي يا مركيز .

وخرج لا يلوي على شيء ، والمركيز ينظر اليه باحتقار ،
ويشيعه بقهقهة .. وما كاد يتوارى حتى اقبلت كلاوديا ،
ودلائل الخوف والقلق باقية عليها ، وقالت للمركيز :

- لقد سمعت مناقشة حادة ، ووجهك ينم على ثورة
نفسية ، فماذا حدث ؟

وكان المركيز قد استعاد بعض مرجه ، كأن الهزيمة
التي مني الثعلب بها قد فرجت عنه ، فقال :

- لا شيء يا سيدتي .. لقد أسدى رئيس الديوان اليّ
معروفاً ، حيث حررتني من وعدي الاصدقاء بالذهاب
الى الأمير .

- حقاً ؟

- نعم ، وعلى هذا فقد بات في وسعنا الاسراع في
السفر ، وانا ماضٍ لاعداد العدة له ، ريثما تكون آميليا

قد تهيأت بدورها .

فقلت كلاوديا :

- أأستطيع ان اكون مطمئنة يا حضرة المريكيز ؟

قال ، وعلى فمه ابتسامة هادئة :

- كل الاطمئنان يا سيدتي .

وخرج ...



انتقل الامير من المدينة الى قصره الريفي في دوزالو ،
وكان يفكر في آميليا ، في هذه المرأة الساحرة التي خلبت
ليه .. فماذا أعدّ رئيس ديوانه الداهية لاسعاده بها ؟
ان مارينلي لأدهى الدهاة .

وجين يرسم خطة ينفذها ببراعة جهنمية .
ولكنه قد أبطأ في العودة .

وكان لا بدّ للأمير من قتل الوقت ، فجلس يستعيد
ذكرى لقاته الأول بأميليا ، ثم ذكرى مطاردتها الأخيرة ..
منذ بضع ساعات .. في الكنيسة ، ويردد الكلمات العذاب
التي هامسها بها ، ويقنع نفسه بان هذه الكلمات قد دخلت
الى أعماقها ، ولولا حرمة المكان وخجل العذارى ، لما
تردّدت في مبادلته بمثلها .

وتذكر فجأة نفورها في الآخر منه ، فما معنى هذا
النفور ، ان لم يكن استنكاراً لجرأته وصنيعه ؟
وكاد يكتئب ويغضب .. ولكنه تذكر ما له من
السيادة والسلطان ، وتذكر ان مارينلي يعمل الآن باسمه ،

فما لا يناله بالرضى سيناله بالقوة .
واقبل رئيس الديوان ، فكاد ينسى وقار الامارة
وجلالها ، في سؤاله :
- ماذا عملت ؟

فجرض اللعين بريقه ، واجاب :
- لقد حاولت ابعاد المركيز اولاً ، على النحو الذي
اتفقنا عليه ، ولكنه رفض الشرف الذي تعطفت بمنحه إياه .
فقطب الامير جبينه ، وقال :
- وعلى هذا فقد أخفقت .. وستصبح آميليا زوجاً
له اليوم ؟

- آسف .
- آسف .. وما الفائدة من أسفك ، بعد ان منيتني
بها ، وقلت ان الخطة التي رسمتها مضمونة النجاح ؟
وثار ثائر غضبه ، فتابع :

- لقد كنت ولا شك وقحاً في مخاطبتك المركيز ..
وكثيراً ما تكون خطة الاحمق حسنة ، على ان يتولى
تنفيذها عاقل ، وهذا ما كان يجب ان افكر فيه .
فتصنع مارينيلي الحرّاد ، وقال :

— أهذا جزائي يا مولاي ؟

— جزاؤك ... وعلام ؟

— لقد حاولت حمل المركيز على قبول المهمة ، ولما شعرت بأني مخفق في ذلك ، وبأنه يسترخس التضحية بكل شيء في سبيل حبه ، اضطررت الى اثارته بالقول ، فأغلظ لي الجواب وأهانني ، فطالبتة بالتضحية في الحال ، لعلني أقتله فيخلو الجو لمولاي ، او يقتلني فيضطر الى الهرب ، ويخلو لمولاي الجو كذلك .

— وماذا كان ؟

— لقد أقدمت مجنوناً على مثل هذه التضحية ، وكنت على أتم الاستعداد للمضي بها الى النهاية ، وهذا في اعتقادي أقل ما يفرضه علي واجب الامانة والاخلاص لمولاي .
— وماذا كان ... أتردد المركيز ، وعهدي به لا يتردد

في الاقدام على مغامرة كهذه ؟

— لم يتردد أولاً .. ثم .. رأى ان يرجي الأمر الى ما بعد زواجه ، الى ما بعد زواجه بثمانية ايام .

فغمغم الأمير بقهر :

— الى ما بعد ظفره بأميليا .

وتابع بحدة :

— واكتفيت .. اكتفيت بهذا ، وجئتُ منْ بقولك :

إنك عرّضت بحياتك للخطر من أجلي ؟

— أكان لي أن أفعل أكثر من هذا ؟

— أكثر من هذا ؟

وصرف بأسنانه ، وقال كمن يخاطب نفسه :

— كأنه فعل شيئاً .

فكان على الحبيث ان يردَّ على التهم بمثله ، فقال :

— وأنت .. وأنت يا مولاي الأمير .. لننظر الى ما

فعلت لنفسك .. لقد كنت سعيداً بما هامستها في الكنيسة ،

فما الذي قلته لها ؟

فقال الأمير ساخراً :

— فضول .. وعليَّ ان ارضي فضولك .. لقد سار

كل شيء طبق المرام ، ولا حاجة بعدُ الى خدماتك

وتضحياتك ، فهي لم تبدِ اي امتعاضٍ ، وكانت بالعكس

سعيدة بما سمعت ، وكان في استطاعتي ان اجيء بها الى هنا ،

ولكنني لم أفعل لأرى الى اي حدٍ تدعي انت خدمتي .

وتابع بلهجة جدية :

— والآن وقد اطلعتك على ما تريد فيمكنك ان تذهب .

فقال مارينالي باللهجة نفسها :

— ان اذهب .. أهنا تنتهي الأغنية ؟

ثم تابع كمن يرى ان الوقت قد حان لاطلاع الأمير
على ما دبّر من خطة ، قال :

— لقد شككت في حسن تديري واخلاصي ، ومع
ذلك فسترى اني عملت شيئاً .. إذا استولينا على العروس ،
ألا يمتنع الزواج ؟

فضحك الأمير ساخراً :

— اذا استولينا على العروس .. وتريد ان اضع خمسين
جندياً من حرسى الخاص تحت امرتك ، فتمضي وتهاجم
بهم مركبة المركيز ، على قارعة الطريق ، لتنفيذ فكرتك
السخيفة ؟

— قد لا أحتاج الى جنودك لهذا .

— وما يمنعك ان تفعل ؟

— أطلب الأمان أولاً .. اما يجوز ان تقع حوادث

مؤلمة ؟

فقال الامير بنزق :

- ومتى كنت لأحاسب الناس على أمور ، لم يستطيعوا
منع وقوعها ؟
- اذن ..

وقبل ان يمضي في القول ، دوى في الخارج طلق ناري ،
فقال :

- أسمعت يا مولاي ؟
وكان الامير قد سمع الطلق ، وأرهف السمع كمن
ينتظر جلاء الواقع بسماع شيء آخر ، فقال :
- ما هذا ؟

ودوت طلقة ثانية ، فقال مارينلي :
- ماذا تريد ان يكون ، سوى ما اراد خادمك
الامين ان يكون ، لكسب رضاك وثقتك .
فقال الامير مرتبكا :

- لا افهم .
- باختصار القول يا مولاي ، ان الخطة التي رسمتها
لمنع زواج الماركيز ، ولحل آميليا اليك ، قد نفذت .
فهتف الامير بفرح يخنقه الذعر :
- تقول ؟

- ما قلت تماماً .. أنسيت انك اعطيتني الامان ؟
- أعطيتك الامان .. وطريقة التنفيذ ؟
- بسيطة جداً .. لقد عهدت الى اختصاصيين مجربين ،
 بقطع الطريق على موكب العروسين ، بجانب حديقة قصرك
 هذا تماماً ، وحال وصول الموكب الى هنا ، يهاجم البعض
 منهم المركبة ، متظاهرين بسلب من فيها ، فيتصدى لهم
 البعض الآخر ، وفي جملة هؤلاء خادمي الخاص ، متظاهرين
 بنجدة المعتدى عليهم ، وفي خلال المعركة يحمل خادمي
 العروس ، كمن يحاول انقاذها من الخطر المحدق بها ، ويأتي
 بها الى الحديقة ، ومن ثم الى هنا .
- وابتسم اللعين ابتسامة القرد ، وتابع :
- فكيف يرى مولاي الامير خطتي ؟
- ولم ير الامير في الخطة الدنيئة ما يمس نبله ، فقال :
- خطة فريدة .. أأطمئن اليها ؟
- وكان مارينلي قد وقف الى النافذة يستطلع ما في
 الخارج ، فقال له :
- عم تبجث ؟
- وكان الشقي قد وجد ضالته ، فقال :

— ها هو .. لقد اقبل بشيرا بنجاح الحطة .
 والتقت الى الامير قائلاً :
 — ابتعد يا مولاي ، يجب ان لا يراك هنا .
 فتأوه الامير مرتاحاً :
 — آه ، يا مارينلي .
 فقال اللعين معتزلاً :
 — لقد اهتمتني بالتقصير ، فما ترى الآن ؟
 — لا شيء بعد .
 — سترى كل شيء .
 ورجاه مرة ثانية بأن يتواري ، فاقدام لا يعلم ان له
 اية علاقة بالموضوع ، ولا يجوز ان يعلم ، فلم ير الامير
 بداً من النزول على رجائه .

لقد رسم مارينلي خطته الجهنمية الدنيئة ، ولم يفكر
 وهو يرسمها في سوى إرضاء مولاه ، ورضى هذا المولى
 الخليع الفاعد الشعور الانساني ، يبيح ارتكاب كل جرم ،
 وفي اماره كواستلا ، تسرح الجريمة وتفرح ، ولا تجدد
 من يطاردها بالعقاب ؛ وبخاصة متى كانت في حماية الامير،

ومقربيه واعوانه .

فما انعس نبلاء النفوس والاخلاق في مثل هذه الامارة .
وكان على المركيز ابياني وعروسه العفيفة الثقية ، وعلى
والدي هذه العروس الشرفاء ، وعلى الانسانية الثكلى في
كواستالا ، الغارقة في الفحش ، كان على هؤلاء ان يكفروا
بدمهم وهنائهم ، عن الخطايا التي ترتكب فيها باسم « السيادة »
التي فرضتها اقطاعية الزمن عليهم .

ومارينلي يخشى ان لا تكون خطته قد نجحت ، كما
لو ان هذه الحطة الشريرة الحقيرة ، مما تفرض تنفيذه ونجاحه
شرائع الله ... فما كاد الامير يتوارى ، حتى اطل من
النافذة يشرف على الجبهة :

فاذا هناك مركبة تعود نحو المدينة ، وعلى كل من
جانبيها خادم ... ولم يرقه هذا ... فهو يخشى ان تكون
خطته قد اخفقت ، وان يكون المركيز قد افلت من
الشرك ، وان تكون الجريمة التي مهد لها قد ضلت سبيلها .
ولكن ... هذا آنجلو ... هذا هو بعينه ، قائد الحملة
التي جهزها لتنفيذ خطته ، وهو يلوح بيديه ، وفي تلويحه
ارتياح ، فالحطة ولا شك قد نجحت .

وهزه « الطرب » فقال يخاطب المركيز ، هذا الذي
أهانه ، بعد ان رفض « الشرف » الذي راح يحمله اليه :
— آه ، يا مركيز ... لقد وجدت الطريق الى ماسّا
طويلة ، فما قولك في الطريق التي مضيت فيها الآن ؟
وقبهقه متابعا :

— لقد كان عليك ان تحذر القروود وانتقامهم .

وكان آنجلو قد اقبل ، فخف اليه سائلا :

— أبشرى يا آنجلو ؟

فأجاب الشقي ، وكأنه قد أتى عملا فذاً :

— ومتى كنت غير بشير ؟

وتابع بفخر :

— قليلاً وتكون الفتاة هنا .

— وبعد ... كيف جرت الحوادث ؟

— بطريقة عادية .

— والمركيز ؟

— لقد كان مستعداً كما بدا لي .

— ومات ؟

— قليلاً ... وأسفي شديد عليه .

— ما ارق قلبك .

وقهقهه مارينيلي ... ثم اخرج من جيبه كيس نقود ،
وناوله الى الشقي الذي كان بانتظاره ، قائلاً :

— اليك بهذا ... اما تجد فيه تعزية على مصابك به ؟!
فغمغم آنجلو :

— على مصابي به ... اما مصابي بصديقي نيقولا فأعمتني
من ان تصل اليه تعزية .

— اذن لقد تعادلت الحسارة .

— لقد كان نيقولا اكثر من صديق لي ، وانا وريثه
الوحيد في الدنيا ، وعلى هذا اتفقنا ..
فقاطعه مارينيلي :

-- دعني من نيقولا الآن ... لك ان تندبه وترثه في
غير هذا المكان ، وحدثني عن المركيز .

— لقد هاجم المركيز نيقولا وهاجمت انا المركيز ،
فأرديته ... ولكنه عاد الى المركبة حياً ، واعتقد انه
لن يخرج منها إلا الى النعش .

— تعتقد ... ما نزال اذن في مرحلة الاعتقاد ،
ولا تؤكد لي موته ؟

- عندما اقول اعتقد فعني ذلك التأكيد ..
والآن السيدى من حاجة بعد ؟
وكان مارينللي يفكر ، فتابع :
- إن طريقي بعيدة ، وعليّ ان اجتاز الحدود اليوم ،
وإذا احتجت الى يوماً ، فأنت تعلم ان تسأل عني .
قال هذا وخرج .
وبقي مارينللي مستغرقاً في تفكيره .
أيكون المريكيز في قيد الحياة بعد ؟

لقد توارى الامير ، ولكن عينيه كانتا في الحديقة ، وفي
ما يجاور الحديقة ، وهما تبحثان عن اميليا ... عن آميليا
فقط ... ويكفي ان يراها قادمة اليه ، وان لا يرى وراءها
حيّاً ، ممن خاضوا حولها المعركة .
وها هي تتراءى .
ولم يصدق عينيه .

فعاد الى مارينللي ، بعد ان خرج آنجلو وقال له فرحاً .
- لقد اتت ... انها تمشي في سرعة امام « منقذها »
والخوف آخذ منها كل مأخذ ... ان الشك لم يخامرها بعد

وكل ما تعلم انها كادت تذهب ضحية اشقياء سفاحين ،
فالى مَ يمكن حملها على مثل هذا التوهم ؟
فقال مارينلي :

- وما ييمنا بعد ، وقد باتت في يدنا ؟
- وامها .. والمركيز .. وأبوها .. اما يدعو هؤلاء
جميعهم الى التفكير والههم ؟
- ليس الى الحد الذي تخشاه .. ولا نستبق بعد الحوادث .
أبعد الخطوة التي خطونا نستصعب السير في طريقنا ؟
- واذا اضطررنا الى التراجع ؟
- وما الذي يضطرنا اليه ؟
وتابع يهدؤ أشاع الطمأنينة في نفس الامير :
- ما عليك ان تقلق يا مولاي ، وكل ما عليك الان
ان تعرف كيف تستدرج الفتاة بلباقة الامير العاشق .
فقال الامير :

- اللباقة .. تلك من تراثنا يا مارينلي ، ولكنها تخوننا
عندما نكون في اشد الحاجة اليها ، وما قلت صدقاً عندما
حدثتك عن مغامرتي في الكنيسة ، فالفتاة لم تصغ الى كلمة
من كلماتي الرقيقة ، بل كانت ترتعد خوفاً مني ، كأنها

امام جلاد يقودها الى النطع ، وأكاد اقتنع بانى لم اكن
لبقاً أبداً بمخاطبتها ، وعلى هذا أرى ان لا اكون الآن
فى استقبالها ، وادع لك مهمة الترحيب بها ومواسمتها ،
وسأكون على مقربة منكما مستمعاً ، على ان اعود اليكما
فى الوقت المناسب .

قال هذا ومضى ، وبقي مارينىلى بانتظار الفتة ،
وكان يقول فى نفسه :

- ارجو ان لا تكون قد شهدت مصرع المركيز ،
ولعلها لم تشهده .. ولا ارى من الحكمة ان اكون اول
من يقع بصرها عليه .
وتوارى فى احدى الزوايا .

لقد فوجئت آميليا بما حدث ، بينا هي تحلم بالسعادة
العاجلة ، وتنتظر الى الطريق التي تقودها الى هذه السعادة ،
فقرأها مفروشة بالزهر .

وكاد يغى عليها هلعاً ، عندما رأت زمرة الاشقياء
التي هاجتهم تحرق بالركبة ، وشاهدت المركيز يترجل
وقد تأهب للقاهم ... وعاد اليها بعض روعها لرؤيتها آخرين

يقبلون لنجدتهم ، فمن يكون المهاجمون الاشقياء ، وما يطلبون منهم ؟

وكانت كالريشة في مهب الريح ، عندما دارت رحي القتال ، واقبل من يدعوها الى النجاة بنفسها ، فلم تدر كيف لبث الدعوة ، ولا ما كان بعدها من نتائج المعركة . ولم تفق من ذهولها إلا في القصر ، في هذا القصر الغريب الذي لا تعرف اصحابه ، فقالت للرجل الذي جاء بها اليه :

— اين انا ... ابن امي والمركيز ؟

فكان على الرجل ، ولم يكن سوى خادم مارينلي نفسه ، ان يكذب كسيده ، فقال :

— انت في دار اصدقاء ، وامك والمركيز ... قد يلحقان بك الى هنا .

— قد يلحقان بي ... أأست متأكداً من ذلك ؟

وتذكرت هنا شيئاً ، فقالت :

— لقد اطلقت عيارات نارية بعد ابتعادنا .

— عيارات نارية ؟

— اجل ... اما تكون قد اصابك امي او المركيز ؟

فتظاهر الخادم اللئيم كسيده بالاهتمام ، وقال :

- عليّ اذن ان اعود ادراجي وارى .

وكان القلق قد استولى عليها ، فصاحت :

- اعود واياك ... اعود واياك ..

وقبل ان تخطو خطوة في اثره ، تصدى لها مارينالي هاتفاً :

- آه ، يا آنسة .. أية مصيبة .. بل أية صدقة سعيدة

اولتنا هذا الشرف ؟

فتراجعت أميليا دهشة ، وقالت :

- انت هنا .. وانا في منزلك ؟

وخيل اليها ان الطمأنينة في جوار هذا الرجل ، فراحت

تشكو اليه باكية :

- آه ، يا سيدي .. لقد هاجمنا قطاع الطرق ، بالقرب

من هذا المكان وهب بعض الرجال لنجدتنا ، وجاء بي

الرجل الذي رأيت الى هنا ، ولا اعلم ما حل بأمي ...

لقد دارت هناك معركة ، وسمعت طلقات نارية ، وقد

تكون اصابني أمي ... آه ، أمي الحبيبة ... اريد ان

اذهب اليها . ان اراها ، فما تطيب لي الحياة بعدها ،

وكان عليّ ان ابقى بقرها .

فتصنع مارينللي اللطف والتأثر ، وقال :

- هديّ من روعك يا آنسة .. لا شيء يدعوا الى القلق ،
وقريباً يلحق احباؤك بك ، وقد بعثت من يبحث عنهم ،
واعتقد ان المعركة لم تسفر عن اي حادث مؤلم .

وكان في لهجته من « الحنوّ » ما بعث بعض الطمأنينة
في نفسها ، فقالت :

- إنك رجل كريم .

وعاودها القلق ، فاستدركت :

- ولكنني أريد الخروج ... اريد العود الى حيث
تركتها ، فلن يبدأ لي بال قبل ان اراها بعيني .

فبات على اللعين أن يضع حداً لاصرارها ، فقال :

- لا داعي لذلك ، وأنت متعبة مرهقة ، ولا بدّ لك
من الراحة ، وفي القصر أكثر من غرفة مهيأة لنزولك
فهيّا ... وكوني واثقة بأن الامير نفسه سيبحث عن امك
ويأتيك بها .

فأحست آميليا كأن ساعة قد انقضت عليها .

الامير ... اي امير ؟

وكان لا بد من استيضاح ، فقالت :

- من تقول ؟

- اقول الامير .. سمو اميرنا بالذات .. فهو هنا في

قصره ، وقد ساء ما حدث ، وأمر بتعقب الاشقياء ،
وسيكون عقابهم شديداً .

وكان حديثه طبعياً ، وكان عليها ان تتناسى قصة
الأمير في الكنيسة ، ولا ترى امامها سوى الحاكم الذي
يقتص للبريء من المجرم ، فقالت :

- ما أغرب الصدفة ... وتعتقد ان سموه سيهتم للبحث

عن امي ، ويأتي بها الي ؟

- كل الاعتقاد ... وها هو قد اقبل ، فكوني ما

ارجو ان تكوني شجاعة ولطفاً في حضرته .

وكان على الامير ان يكون اميراً في غمرة هذه المرحلة ،

هذه الخطوة التمهيدية للجريمة الكبرى ، فأقبل على الفتاة في
هبة الامراء ، وقال :

- سلام يا آنسة .. لقد بحثنا عنك في كل مكان ، ولم

ندر انك هنا في حمانا ، فالحمد لله على سلامتك .

فخرت الفتاة على قدميه باكية :
آه يا مولاي ... لا سلامة لي الا بسلامة امي ،
فأين هي ؟
فانهضها قائلاً :

- انهضي يا فتاتي ... أمك بخير ، وغير بعيدة منك ،
وكذلك الآخرون .. فهات ذراعك ، وتعالى معي ،
وكوني مطمئنة .

- أحاول أن اطمئن يا مولاي ، ولا أقوى على ذلك ،
ونفسي تحدثني بمصيبة ... اما كان يجب أن يلحقوا بي الى
هنا ، لو انهم في قيد الحياة ؟
- في قيد الحياة يا آنستي ، في قيد الحياة ، فتعالى .
وشعرت بشيء .

وعاودتها ذكرى الكنيسة ، فارتمت ثانية على قدميه ،
هاتفة :

- رحماك ...

وكان قد ابتدأ يتنازل عن عرش الامارة ، فراح يحدثها
بلغة الرجل الذي لا يتردد في التذلل لاستواضائها :
- انهضي يا اميليا ... ودعيني استغفرك ذنب الصباح ،

فقد كنت اذ ذاك ضعيفاً ، ولم يكن لي ان ازعجك
باعترافات حمقاء ، ولكن ضعفي كان أقوى من ارادتي ،
وقد عوقبت على هذا الضعف بصدك لي ، وكان العقاب عدلاً .
ونخيل اليه أن الذهول الذي استولى على الفتاة ، انما هو
اصغاء ، فتابع :

ألي بعد ، أن أعدّ الحادث المؤسف الذي وقع لك ، في
جوار قصري هذا ، طلعة فجر السعادة التي انتظرها بقربك ؟
وكان ذهول آميليا الصامت ، قد ابتدأ يتحول عاصفة
صامتة في نفسها... فأخذت ترتجف كالقصبه في مهب الريح ،
وكان عليه أن يديء من روعها « بلباقة » فلفظ من لهجته
الى مدى بعيد ، وقال :

- لا ترتجفي ... لن أزعجك بكلمة ، ولا اسمح لنفسي
بتنهدة تمس شعورك ، على أن تقدر شعوري نحوك ،
ولا تقضي على هذا الشعور بنظرة شك واحدة ، ومهما
يكن من أمر ، فأنت هنا في مأمن ، ولن تحتاجي الى من
يحميك مني .

كان في غمرة من شعور انساني ، انسى الفتاة موقفها ،
وشجعه الهدوء الذي عاودها ، على المضي في تمثيل دور الأمير

الكريم ، فقال لها :

— إنك بحاجة الى الراحة ، فتعالى معي الى حيث تجدونها
موفورة لك .

وقال مارينلي :

— اتبعنا .

وقاد الفتاة التي لم تقو على الممانعة ، ولم يكن لها أن
تمانع ، بعد أن ائتمنها على نفسها ، وبدا لها أنه صادق في ذلك .
ولم يكن لغير العين مارينلي أن يفهم معنى قوله
« اتبعنا » فقال لنفسه :

— « اتبعنا » ... معناها لا تتبعنا ... وما شأني بعدُ

معها ؟

وكان عليه أن يفكر في المراكز ، فهو لم يعرف بعدُ
مصيره ، وليس من يؤكد له أنه قتل ، وقد يزعم بقاؤه في
قيد الحياة ، ولكن الى حدّ ... وأما الوالدة ، فهل
يعقل أن تنسحب ، دون أن تهتم لمصير ابنتها ؟

وبينا هو في التفكير عاد خادمه يقول :

— الوالدة يا سيدي .

ولم يكن مخطئاً في تفكيره ، فقال :

واين هي ؟

— تركتها قادمة في اثري ، ولا اعلم من قال لها ان ابنتها هنا ، فقد رأيت جمعاً كبيراً يحيط بها ، وهي تصرخ مستنجدة ملتاعة ، وتسأل عنها .

لم يكن ذهول ، كلاوديا للمفاجأة الخطرة التي روعتها بأقل من ذهول اميليا ... ولم تفق من ذهولها ، الا لترى المركيز صريعاً يتخبط بدمه ، وفلذة كبدها بعيدة منها دون ان تدري كيف توارت .

وكانت تصرخ وتستنجد ، وابت أن تفارق مسرح الحادث ، بالرغم من هول المأساة التي شهدت عليه ، قبل ان تعرف مصير ابنتها .

وكان نبأ الحادث قد انتشر ، وتراكض القرويون الى حيث وقع ، وأحاطوا بالأم الشكلى يحاولون تهدئة روعها ، ولا يجدون الى ذلك سبيلاً .

وجاء أخيراً من يقول : انه شاهد الفتاة ، في رفقة رجل من القصر ، فهي ولا شك هناك ... وقيل هذا للأم ، فهرعت كالجنونة ، وهي لا تصدق انها ستلقى بعد أميليا ، وتضمها الى صدرها .

ولم تنتظر ان يؤذن لها بالدخول ، بل اندفعت الى
الداخل صارخة :

- آميليا ... آميليا ...

وكان خادم مارينيلي اول من اعترضها ، فصاحت به
قائلة :

- أين ابنتي ... لقد جيء بها الى هنا ، فأين هي
ايها الشقي ؟

فكان على الخادم ان يهديه العاصفة الشائرة ، قبل ان
تهب على القصر وتزعج من فيه ، فقال لها ملاطفاً :

- اطمأني يا سيدي ... انا الذي جئت بابتك الى هنا ،
وكننت أظن أنك قد رأيتني ساعة انقذتها ، وهي الآن
آمنة هائلة ، وهذا سيدي في خدمتك ، وسيقودك بنفسه اليها .
فارسلت كلاوديا آهة ارتياح خرجت من اعماقها ، وقالت :
- عفوك ايها الرجل الطيب .

ووقع بصرها على مارينيلي ، فتراجعت الى الوراء
مذعورة ، وقالت :

- أنت ... أنت هنا يا سيدي ... وابنتي هنا في
منزلك ... وانت الذي ستقودني اليها ؟

فانحنى مارينللي متصنعاً اللطف والاحترام ، وقال :

- بكل سرور يا سيدي .

فقالت كلاوديا متذكّرة :

- ولكن ... أما أنت الذي زرت المريكيز صباح

هذا اليوم في منزلي ، وحصلت بينك وبينه مشادّة ؟

فقال الحبيث مموّهاً :

- مشادّة ... لا ... جدل تافه ، حول موضوع خاص .

- واسمك مارينللي ؟

- مارشيزه مارينللي .

- مارشيزه مارينللي ... لقد كان اسم مارينللي ، هذا

الاسم بالذات ، آخر كلمة خرجت من بين شفتي المريكيز

عند موته .

فهتف مارينللي بهزة سرور لم يقوَ على كتمانها :

- المريكيز ... عند موته ؟

- نعم يا سيدي ... ولكنها لم تخرج سليمة ، فقد

رافقتها لعنة قاسية ، ولكنك اودُّ لو اني لم اسمع هذه

اللعنة ، ولم اضطر الى توريدها ، وانا امام الرجل الذي

سأحفظ له جميل جمعي بابنتي .

- لا بأس ... لقد كان المركيز صديقاً حميماً لي ، وطبيعي

ان يذكرني في آخر خطاته .

- طبعي ان يذكر اسمك مقروناً باللعنة ؟

وتابعت كمن تحل لغزاً :

- لقد كان المجرمون الذين هاجمونا مأجورين ، وكان

اسمك آخر لعنة خرجت من فم المركيز ، وبلهجة ... آه

لولا ان في استطاعتي عرض هذه اللهجة على المحكمة .

وكمن افقت من ذهول جديد :

- ولكن ... لي الويل ... لقد نسيت ابنتي ، فأين

هي يا رجل ؟

واندفعت في تيار عاطفتها الثائرة :

أتكون قد قتلتها ايضاً ... ما ذنبها هي ، ان كان

المركيز ابياني عدوك ؟

فكظم مارينلي غيظه وقال :

- صفحاً عن الأم الجزعى ... ان ابنتك هنا يا سيدي

وارجو ان تكون قد استعادت روعها ، ومولانا الأمير

نفسه يُعنى بها ، ويبذل كل ما في وسعه لمواساتها .

الامير ... ماذا تسمع ؟

الامير ... لقد ابتدأت تفهم ، لقد ابتدأت تحل اللغز ،
فالثعلب والذئب كلاهما هنا .

ولم تتمالك من الهتاف :

- الامير ... الامير قلت ... يا لتعاسي من ام ..
إن لعنة الوالد ستصعقها وتصعقي معاً .
وكانت قد غدت كالجنونة .

وحاول مارينيلي ان يهدي ثورتها ، فكانت تزار كاللبوة
التي فقدت شبلها :

- المأساة ... هذه المأساة ... لقد ابتدأت صباح اليوم
في الكنيسة وانتهت هنا .

واندفعت نحو مارينيلي مزجرة :

- يا قاتل ... يا جبان ... لست لك الجرأة على
القتل ، وعندك من النذالة ما تسلح به يد الغدر ...
يا احقر القتلة ... يا احقرهم ... لأن شرفاءهم براء من
امثالك ... لم لا ابصق في وجهك يا انتن من حشرة ؟
وكان على الشقي ان يتمالك ، ان ينطوي على ذله
وصغارته ، امام كبرياء تلك المرأة الجريح فقال :
- إنك تهذين يا سيده .. اما تعلمين اين انت ؟

فدوى زئيرها كالرعد :

- اين انا ... وما هم اللبوة ان يتعالى زئيرها عندما
تصاب باشبالها ؟

وكانت آميليا تتقلب على نارها في ذلك القصر الذي
ارادوه سجنًا وارادته قبراً ، قبل ان ينال ربه منها ما
يودّ ، حين سمعت صوت أمها المدوي ، فصرخت بدورها :
- امي ... اسمعيني صوتك يا اماه .

وطرق الصوت اذني الوالدة المحطمة القلب ، فما عادت تعي
لشيء ، واندفعت كالعاصفة الى حيث خيل اليها ان ابنتها
سجينة ، وهي تصيح :
- آميليا ... ها أنذا .



لا يستطيع قلم ان يصف وصفاً كاملاً اللقاء المؤثر الذي كان بين الأم والابنة ، فالعاطفة الشائنة التي حملت كلاوديا حمل العاصفة لورقة خريف ، وقذفت بها بالشكل الذي رأينا الى حيث كانت ابنتها ، ما عتمت ان تحولت نوعاً من الجنون الهاديء ، يختلط فيه الفرح بالحزن ، وتمتدح فيه الدموع المتفجرة من العيون ، بالقبلات الملتهبة على الجبين والوجنتين .

وكان على الامير ان يحترم الموقف ، وان يقف امام المرأتين المصابتين في صميمهما ، وقفة المجرم امام العدالة ... وكان عليه في الاخر ان ينسحب ؛ ان يفسح للألم وغضب الحبية مجال الانطلاق .

وتوجه الى مارينيلي وقال وهو مرهق :
- تعال يا مارينيلي ... إني تعب .. هل من راحة لي لديك ؟
وكان على العين ان يستجمع في تلك اللحظة دهاءه

كله ، فقال :

- يا لغضب الأم .

واطلق ضحكة اهتزها قلب الامير ، فقال :

- أتضحك ؟

لقد كانت هنا وحشاً ضارياً ، حتى اذا رأتك تحولت
حملاً ... أمن امرأة حمقاء في الدنيا تخمش عين امير لمجرد
انه معجب بابنتها ؟

- ما اصب ... لقد وقعت الفتاة مغشياً عليها ، وهذا
ما ذهب بغضب الام ، فاكنتت بنظرة وكلمة للتعبير عما
في نفسها مني .

- وما الكلمة يا مولاي ؟

- لقد سمعتها انت .. اصحيح .. ؟

- وهب انه صحيح .

- هب انه صحيح .. إذن هو صحيح ... لقد مات

المركيز وعلى شقيقه اسمك .

- وبعد ؟

- اقسم بالله اني بريء من دمه ... لم لم تقل لي إن

الامر سيكون المركيز حياته لأمنع المأساة ؟

- لم اقل لك ... اكننت أعلم انه سيموت ؟
وتابع كأنه يروي قصة عادية :
- لقد اوصيت آنجلو بالحكمة ، بالألا تراق نقطة دم ،
ولم يكن ليخالف التوصية ، لو لم يكن المركيز هو
الباديء ، فقد اطلق النار على احدهم وقتله .
- كان يجب افهامه ان الامر لا يعدو حدّ المزاح .
- وهذا ما حمل آنجلو على الغضب والانتقام .
- يحق له الغضب .
- وقد عنفته على ذلك .
- احسنت ... وانذره بأن لا يطأ بقدميه ارض
إمارتي بعد ، او كان تعني لي غير تعنيفك .
- وعلى كل فانا آسف لموت المركيز ... لقد كان
عليّ ان ابارزه ، لأنه مدين لي بتوضية ، وقد فارق الحياة
قبل ان يقدم لي هذه التوضية .
- وتابع كمن يقول صدقاً :
- فيا ليتة بقي حياً ... وددت ذلك بكل ما املك ،
حتى بلفتة رضى مولاي ، فالكرامة الجريح في نفسي تتألم .
وصدقه الامير ... فقال :

- اذن مصادفة ... مصادفة كان موته ... انت تؤكد ذلك وانا اصدقه ، ولكن الام واميلىا والناس ، ايصدقون؟
- بصعوبة .

- سيعتقدون اذن بأن آنجلو هو الآلة المنقّذة وانا الامر القاتل .

- على الارجح .

- إلا اذا صرفت النظر عن كل رغبة لي في اميليا .
- هذا ما كان يجدر بك فعله لو بقي المريكيز حياً .
فكاد الامير يغضب .. ولكنه تمالك ، فقال :

- تريد ان تقول إن في موت المريكيز خيراً لي ...
إن موت مريكيز واحد لا يقدم ولا يؤخر ، ولكن الخير يا صديقي في ان يكون الجرم مما يمكن تلافي عقباه ،
لا كجبرنا الذي وقع بفضل تنظيمك وتديروك العبقري !
فكان على مارينللي ان يتقي التهمة بتهمة ، فقال :

- ما دام هذا رأي مولاي في تنظيمي ، فلم لا يكون ذهابك الى الكنيسة هو الذي افسد علي خطتي ؟

- كيف ؟

- لم يفسد الرفض ولكنه افسد وقعه .

- كيف ؟

- باختصار ... عندما رسمت خطتي لم تكن آمبيليا
تعرف شيئاً عن هيامك بها ، وكانت امها اكثر منها جهلاً
بذلك ، وعلى هذا الاساس رسمت الخطة ، ولم أكن أدري
ان الأمير سيفسدها بتصرفه .

ففكر الأمير قليلاً ونخمم :

- يا لعنة .

- لقد افشيت انت سرّك .

- يا للفكرة الملعونة .

- ولو لم نقشه لكنت الام والابنة الآن ، في اطمئنان
كلي الى حسن نيتك .

- لقد اخطأت فصيحاً ... صفحاً يا مارينلي .

وما انتهى من جملته ، حتى دخل باريستا خادم مارينلي ،

وقال :

- لقد وصلت المركيزة يا مولاي .

فهزّ النبأ الأمير ، قال :

- المركيزة ... أية مركيزة ؟

- المركيزة أورزينا .

- أورزينا ... أورزينا ... أسمع يا مارينلي :
فقال مارينلي :

- لست دهشتي بأقل من دهشتك يا مولاي .
وكان ارتباك الأمير قد اضاع بعض صوابه ، فقال
للخادم :

- اسرع يا باتيستا ... لا تدعها تدخل ... انا لست
هنا ... قل لها ذلك ... لتعد ادراجها حالا ... اسرع .
وتابع كالجنون :

- من قال لها إني هنا ، وماذا تريد ؟
وكان مارينلي واقفاً وقفة الالمبالي ، فقال له :
- لماذا لا تتكلم يا مارينلي ... اتراها على علم بما حدث ؟
ولما لم يجبه الخيـث بشيء ، تابع بلهجة المتضرع :
- تكلم يا مارينلي ... ما الذي يخرسك ... اتكون
قد تأثرت مما ائنا من جدل ... اتريد ان اطلب الصفح
منك ؟

فتنهـد مارينلي قائلاً :
- آه يا اميري ... عد الى نفسك وانا بكليتي لك ...
إن وجود أورزينا هنا لغز لكينا ، ولا ارى انها ستدعن

لامرك بالطرد ، فما العمل ؟

- عليك التدبير ... ولن استقبلها في اي حال .

- أستقبلها انا .

- واختصر الحديث معها ... فالوقت ثمين ، ولنا

اعمال اخرى . فقال اللعين مطمئناً :

- لن يكون الا ما يرضيك يا مولاي .

المركيذة اورزينا ... نبيل اسمي متكبر ، في شخصية

يعوزها الجمال ، وتأبى إلا ان تبدو جميلة ، حتى في ابتسامتها

الساخرة ، وفي نظراتها الزاخرة باحتقار الاشياء .

انها ابنة امير ، وخطيبة امير ، ولكنها غير مطمئنة ..

فالمستقبل مظلم ، وهذا الامير الذي هي خطيبته لا يبدو

مخلصاً ، وتود لو انه يصارحها بحقيقة شعوره ، وتحشى في

الوقت نفسه هذه المصارحة .

والألم يحز في نفسها لهذا .

وكثيراً ما حاولت الاقدام على امر وترددت ... إن

لم يصارحها هو ، فعليها ان تحمله على المصارحة ... بهذا

تضع حداً لشكوكها وآلامها ... ورأت اخيراً ان تفعل .

ان تخرج نفسها من هوة الشك ، ان تعلم مرة واحدة إن

كان يريدّها او لا يريدّها .

ولهذا جاءت الى كواستالا .

وارادت ان تحتلي به في مكان بعيد عن البلاط ،
فبعثت اليه بالرسالة التي اهملها ، ولم يفضها ليعلم ما فيها ،
لانصرافه بالفكر والروح والعمل ، لهواه الجديد .
ومن غريب المصادفة ان الرسالة كانت دعوة منها لملاقاته
في دوزالو ، في قصره الريفي هذا ، وظناً منها انه اطلع على
الدعوة ، ولم يرَ بداً من تليتها ، اقبلت الآن عليه .

ودخلت بكبريائها وسخريتها ، وهي تقول :

- اما من احد هنا لاستقبالي ، سوى ذلك الخادم
الوقح الذي اراد منعي من الدخول ؟
ورأت مارينلي ، فقالت له :

- آه ، هذا انت .. لقد احسن الامير باستصحابك ..
ولكن لا .. لم يحسن بهذا ، فأنا اريد ان اسوّي حسابي
معه ، ان اسوّي هذا الحساب مرة واحدة ، فأين هو ؟
فتواضع مارينلي قائلاً :

- الامير يا سيدتي المركيزة ؟

- ومن سواه ؟

- اتزعمين انه هنا .. اتعلمين انه هنا ؟

واذ رآها تنظر اليه بترفع ، تابع :

- اما هو فما يدري بوجودك هنا يا سيدتي .

كيف .. الم تصله رسالتي ؟

- رسالتك .. بلى .

- اذن .. الم اطلب منه مقابلة هنا .. إنه لم يتنازل

الى الجواب ، ولكنني علمت انه في دوزالو ، فاعتبرت ذلك جواباً .

- انها لمصادفة غريبة .

- مصادفة ... ألم أقل إن هذا متفق عليه ؟

وكان ينظر اليها مستغرباً ، فقالت :

- من يرى السيد مارسيزه ينظر اليّ مثل هذه

النظرات الغريبة ، لا يشك في ان دماغه الصغير لا يقوى على تفهم أبسط الاشياء .

فكان على مارينيلي ان يتكلم ، قال :

- كل احترامي لك يا سيدتي المرموقة .

قالت والكبرياء تكاد ترفعها عن الارض :

- لقد سمعت صوت امرأة ، فمن تكون يا مارينلي ؟
ولما لم يجاب ، تابعت :
- لا تجاب ، وكل احترامك لي ... ألا لعنة الله
على منافقي القصور ... أفي هذه القصور غير النفاق ؟
ومشت الى الداخل قائلة :
- اجبت ام لم تجب ، فاني هنا الآن ، وسأرى بنفسى .
فاعترض مارينلي سبلها ، قال :
- الى أين ؟
- الى حيث ينتظرني الأمير .
- انك لمخطة يا سيدتي ، فالامير لا ينتظرك ، ولا
يستطيع مقابلتك .
- حتى ولو كان هنا ، وبناءً على رسالي اليه ؟
- ليس بناءً على رسالتك .
- أما قلت إنه استلمها ؟
- استلمها ... استلمها ولكنه لم يقرأها .
فهنأها الجواب ... لم يقرأها ... أإلى هذا الحد بلغت
لا مبالاة بها ؟
ونفرت من عينيها الدمع ، فقالت :

- لم يكلف نفسه عناء قراءتها ؟

- انها كآ بالعمل لا ازدراء .

وعاودتها الكبرياء ، فقالت :

- لم يبق الا ان يزدريني .

وصمتت ... وكانت تبدو فريسة لاشد ما في النفس من
عوامل متناقضة ، ولكنها أبت الا ان تكون من هي في
الشدائد ، فقالت :

- أرجو يا مارينللي ان يكون الأمر كما قلت ، وانا
لا اجهل ما لدى الامير من أعمال ، تمنعه احياناً من الاهتمام
حتى بشؤونه الخاصة ... أقلت ان اهماله امر رسالتي كان
لا مبالاة منه لا ازدراء ؟
- هو ذاك .

فضحكت ساخرة :

- يا لك من رجل تردّد ما يريد الناس منك ان
تردّد ... لا مبالاة بدل الحب ... هذا يعني ان قلبه خلوّ
مني ... ان اللامبالاة يا بيبغاء القصر لا تكون بما يشغل
الروح ، بل بما لا علاقة للروح به من امور مادية تافهة ،
ولكن مثلك لا يملك الفهم الكافي لادراك هذه الحقائق

السامية .

ففعهم مارينلي في نفسه :

- يا للشيطان .

قالت : بمَ تحدث نفسك ؟

- بالاعجاب ... بالاعجاب الكلي بك ... لم يدر احد

من قبل انك فيلسوفة يا سيدتي المريضة .

- فيلسوفة ... لا فلسفة هنا ... ولو ان لي ان

اتفلسف لاحتقري الأمير ، فالرجل لا يجب ما يحمله على

التفكير ، والمرأة التي تفكر عنده ، كالرجل الذي يطلي وجهه

بالمساحيق ... ذلك الرجل شأنه العبث والضحك ، وليس

لي انا ، ان اضحك ، للمصادفة الغريبة التي حملته على الحضور

الى هنا ، دون ان يقرأ رسالتي .

وقهقهت متابعه :

- انني اضحك ، فاضحك معي يا هذا ، اضحك . وقالت

كلمتها الاخيرة بلهجة الجد ، فقال مارينلي :

- حالاً يا سيدتي .

- ولكن لا ... لا تضحك يا مارينلي ، لأن الذي

يضحكني من كل قلبي ، فيه الكثير من الرصانة والجد ،

والمصادفة ... هذه المهزلة ... أهى حقاً ما حمل الأمير
الى هنا ؟

وكانت قد اصبحت في حالة نفسية تدعو الى التهيّب ،
فلم يكن لمارينليّ إلا الاصغاء اليها ، متابعة :
- صدقني يا هذا .. لا شيء تحت الشمس اسمه مصادفة ،
وبخاصة تلك الامور التي تشع منها انوار الارادة .
ورفعت عينها نحو السماء ، راجية :
- ايتها القوة الالهية العادلة .. صفحاً ، اذا قلت : ما
المصادفة إلا من صنع هذا الخاطيء الصغير ، من صنعه
المباشر .

والتفتت الى مارينليّ قائلة :
- جرّب ان تخدعني مرة اخرى يا هذا .
فقال مارينليّ :
- ولكن يا سيدتي المركيزة ..
- اسكت .. إن في قولك « ولكن » ما يدعو
الى التفكير .

وألقت يدها على جبهتها هاتفة :
- رأسي .. رأسي ، يجب ان ارى الامير في الحال ،

فقدت على وشك ان افقد الرشد والنطق ، وان لي ما
اقوله له .

وكان الامير يصفي في الغرفة المجاورة ويسمع ، ورأى
ان يضع حداً للجدل القائم ، فخرج متظاهراً بأن ثمة امرأ
خطراً يشغله ، وهو يقول :

— لا بد من الاسراع لنجدته .

ورأته في مثل هذا الانشغال ، فقالت :

— هذا هو .

واكتفت بالقول ... وفوجيء - متظاهراً - برويتها ،
فقال متكلفاً اللطف :

— هه .. مركيزتنا الجميلة .. يؤسفني يا سيدي ان
لا اكون قادراً على استقبالك ، فالأعمال التي حملتني الى هنا
كثيرة جداً ، ولسنا بعد وحيدين .. فعذراً يا عزيزتي ،
ولا تزعجي نفسك بالانتظار ، راجياً ان نلتقي في غير
هذا المكان ، وغير هذه المناسبة .

وتابع سيره مسرعاً ، بعد ان قال لمارينلي :

— اما انت فاتبعيني .

لقد طردها .

لم يقل لها : « اذهبي » ويكفي ان يكون قد قال لها : « لا تزعجي نفسك بالانتظار » ليعني هذا ما هو اسدّ وقعاً من الطرد في نفسها .

و « لسنا بعد وحيدين » .. وهذا يعني شيئاً ، يعني ان هناك ما يلهيه عنها ، وما يحمله على ابعادها ، بأية حيلة واية لهجة كانت .

وكان مارينلي لا يزال امامها ، فقالت له :

— يطردني اذن .. أشخصاً مزعجاً ، ام شحاذاً يطرد؟
وثار ثائر عنفوانها ، فتابعت :

— ألم يجد سوى اكدوبة « كثرة الاشغال » لابعادي ؟
وضحكت ضحكة صفراء ، وهي تقول :

— وهات انت يا مارينلي ، هات من أكاذيبك ما يبرّر كذبتك ، ما يقلل من اهمية هذه الكذبة لديّ ، أية اشغال مهمة تمنعه من استقبالي ؟

واذ لم يجيبها بشيء ، مضت في قولها ملحة :

— اكذب .. اكذب .. قل اول شيء ينبادر الى ذهنك ، وانطلقت بعدها راضية .

قال : اذا كان هذا ، فإليك بعض الحقيقة .

- هات .

- ان هنا في الواقع اشخاصاً لا يستطيع الامير ان يتخلى عنهم ، فهؤلاء الاشخاص تعرضوا منذ حين لحادث خطر ، وقد انقذهم الامير منه ، وفي جملتهم المركيز ابياني .

فهمت سائراً :

- من ؟

وتابعت منتصرة :

- من المؤسف ان تظهر كذبتك بمثل هذه السرعة .. هات غيرها .. لقد قتل قطاع الطرق المركيز ، ورأيت بعيني جثمانه في المركبة عند مدخل المدينة ، فهل يكون ما رأيت في الحلم ؟

- بأسفٍ لا ... ولكن رفاقه هم الذين قد أنقذوا وجأوا الى القصر ، وفي مقدمتهم خطيبته ووالدتها ، وقد كانوا في طريقهم الى ساميونيتا للاحتفال بالزواج .
- العروس وامها ... وجميلة هي العروس ؟
- أما تعرفين آميليا كالوتي ؟

- آميليا كالوتي ... لك الويل يا هذا إن انا صدقت
كذبتك .

- كيف ؟

- آميليا كالوتي ؟

- ما إخالك تعرفينها .

- بلى ، ولو كان اليوم فقط ... أهى حقاً العروس

التعسة التي « يواسيها » الأمير ؟

وكان الخبيث ينظر اليها ذاهلاً ، فتابعت :

- والمركيز أبياني ، ابياني الذي قتل منذ حين ،

كان عريسها ؟

- نعم .

- مرحى ... مرحى .

- ولم هذا كله ؟

- وددت لو أقبل الشيطان الذي حمّله على ما فعل .

- من ... وعلام ؟

- نعم وددت لو أقبل الشيطان ، ولو انك انت

الشيطان يا مارينلي .

- سيدتي ...

- انظر الى جيداً ... ضع عينك في عيني .
- وبعد ؟
- ألم تفهم بعد ما أعني ؟
- لم أفهم .
- ألم تكن شريكه ؟
- في اي شيء ؟
- اقسم ... لا ، لا تقسم .. قد يضيف القسم خطيئة
- جديدة الى خطيئاتك التي لا تحصى ... بل اقسم ، اذ لا
- اهمية لخطيئة يرتكبها رجل ملعون .. ألم تشاركه ؟
- انك تخيفيني يا سيدي .
- اخيفك اجل .. واسألك بعد : اما يخامر قلبك الطيب
- شك يا هذا ؟
- فيم ؟
- اسمع .. سرّ يقف له شعر رأسك .. يجب ان لا
- يسمعنا ثالث .. اتسمع ؟
- ماذا ؟
- الأمير قاتل .
- فصاح الشقي ، كمن هاله الخبر :

- ايتها المركيزة .. افقدت صوابك ؟
 - فقدت صوابي .. الى الآن لا .. والواقع ما قلت .
 فابقه سرّاً .. لقد قتل الامير المركيز ايباني .. لم يقتله
 بيده ، بل بيد اعوان اعوانه ، وفي اي حال هو القاتل .
 - كيف يخطر لك هذا ؟
 - كيف .. بسهولة ، عندما اعلم ان الأمير تحدث
 الى آميليا كالوتي بالقرب من الكنيسة ، وكان حديثه مليء
 بالاعتراقات القلبية والتوسلات ، وآميليا كالوتي هي التي قُتل
 عريسها هنا دون مقدمات ، وهي التي « انقذت » و « جيء »
 بها الى هنا ... امصادفة كان كل هذا ؟
 فلم يتمالك مارينلي من القول :
 - إنك تعرضين برأسك للخطر يا سيدي .
 - فيما لو اعلنت ذلك .. سأقف غداً في ساحة المدينة
 وانا دي به على رؤوس الاشهاد .
 وهممت بالذهاب ، فاذا في الباب العقيد كالوتي ، وقد اقبل
 لاهتماً من عناء سرعته

لم يكن والد آميليا ينتظر الخبر المؤسف ، حين اقبل
 عليه احد الخدم في سابيونيتا ، وفاجأه بقوله :

لقد هاجمنا قطاع الطرق في دوزالو يا سيدي العقيد ،
فجرحوا المركيز أبياني جرحاً خطراً ، وفزعت السيدة زوجها
والآنسة ابنتك الى القصر .

فكاد صواب كالوتي يطير للنبا .

وخف في عجل الى دوزالو ، ودخل الى القصر دونها
استئذان ، فاذا هو امام المركيزة ومارينلي ، فقال للمركيزة
معتذراً :

عفواً يا سيدتي .

فقالت المركيزة ، وهي لا تعرفه :

— لست من يملك حق العفو هنا ايها السيد ، فوجه .
كلامك الى رئيس الديوان .

واشارت الى مارينلي ، وكان هذا ممتقع اللون ، فقال
له كالوتي :

— لقد بلغني النبا المشؤوم يا سيدي ، فاصنع عن والد
يدفعه القلق الى الدخول عليكم بهذا الشكل .
فتمتعت المركيزة :

— عن والد .. والد آميليا دون شك
وتابع كالوتي :

- اتكون زوجي وابنتي قد لجأتا حقاً الى هنا ؟

فقال مارينللي :

ليطمئن بالك يا حضرة العقيد ، فزوجك وابنتك هنا
أجل ، ولم تصابا والحمد لله بسوء ، وهما الآن في حماية
الأمير ، وسأمضي وابنتها بقدمك .

- ولم الانباء والانتظار ؟

- لأسباب .. فأنت لا تجهل موقفك من الامير ، فما
هو في اي حال بموقف الصداقة ، وقد احاط زوجك
وابنتك برعايته وعطفه لمجرد كونها سيدتين ، ولا ادري
اذا كان يرغب في مقابلتك .

- انت على حق يا سيدي .

وكان على مارينللي ان يصرف المركيزة ، فقال :

- أسمح سيدي بشرف مرافقتها الى المركبة ؟

قالت : لا ترعج نفسك .

فامسكها من يدها بشيء من العنف ، وقال :

علي ان أؤدي واجبي .

- أعفك من هذا الواجب ، وعليك واجب اهم تؤديه

لهذا الرجل المحترم .

أنسيت امر سموه ؟

ليأت سموه ويذكرني به .

قجار مارينلي في امره ، ولم يكن له ان يرتفع بارادته
الى مقام المريكيزة ، فاقترب من العقيد ، واسرّ في اذنه .
— سادعك هنا مع سيدة لا تملك قواها العقلية ، فلا تعر
كلّ ما تسمع منها اهتماماً ، والافضل ان لا تدخل معها
في حديث .

وتركها ومضى .. وكانت المريكيزة تنظر اليه باحتقار
عميق ، ولما توارى قالت لكالوتي :

— بجم هامسك الشقي ؟

فردد كالوتي كلامتها :

— الشقي ..

ولم يزد .. فقالت المريكيزة :

— بالكذب ولا شك .. ومهما يكن من امر ، فليس

ما قال لك من الحقائق التي تنتظرك .

فغمغم كالوتي قلقاً :

— التي تنتظرني .. أليس ما علمت كلّ ما ينتظرني هنا ؟

فضحكت ضحكة اشفاق ، وقالت :

- إنك لم تعلم شيئاً ؟

- لم أعلم شيئاً ؟

- ما أطيبك من والد .. وددت لو أنك والدي ،

وارجو أن تثق بصدق شعوري ، فرابطة الحزن الذي
يجمعنا هي نوع من صلات القربى ، واودُّ أن اشاطرك
حزنك وغضبك .

- حزني وغضبي ؟

واطلت الخيرة الغضبي من عينيه ، فقال :

- لا أفهم يا سيدة ، فافصحي .

- وحيدة هي ابنتك كما علمت ، ونساء كانت وحيدة

أم لا ، فالوالد التعس هو أبداً وحيد .

فغغم كالوحي كمن يخاطب نفسه :

- الوالد التعس .. أجنونة من تقول هذا ؟

وسمعه يغغم ، فقالت :

- أجنونة .. لقد أسرَّ إليك بأني مجنونة .. كذبة

من كذباته العديدة ، وصدقني أن من لا يجنُّ من مشاهد

معينة .. لا يمكن أن يصاب بعدها بالجنون .

- وما بعد هذا يا سيدي ؟

- لا تحتقرفني .. انت رجل عاقل ، وعليك ان تفهم
دون ان تحتاج الى شرح ، أيمكن ان تكون ناقص الفهم .
فصاح كالوتي ، كمن عيل صبره :
- الافصاح يا سيدة ، .. الافصاح ، او كنت في
الواقع مختلة الشعور .
- اذن فاسمع : لقد قيل لك ان ابياني جريح ،
وابياني قد مات .
- مات ؟
- وقيل لك ان ابنتك بآمن في رعاية الامير ، وبأليتها
ماتت قبل ان تصبح في رعاية هذا الخليع .
- فطار صواب كالوتي ، فصاح :
- والكلمة الاخيرة ؟
- اليكها بحروفها ، فركبها انت لنفسك .. في صباح
اليوم يتحدث الامير الى ابنتك في الكنيسة .
- آه ..
- وبعد ظهر هذا اليوم بالذات ، اي في هذه الساعة ،
تجالس ابنتك الامير هنا ، في هذا القصر .
- فصاح كالوتي كأن صاعقة انقضت عليه :

- تحدث اليها في الكنيسة ، وتجلسه الآن هنا ؟
 - تحدث اليها اجل ، وبعاطفة ملتببة ، وبتوسلات
 حارة .. ولم يكن الحديث بالطبع تافهاً ، ولعل ابنتك قد
 جاءت الى هنا طواعية ، ولم تكن حادثة اختطافها سوى
 رواية ، سوى خطة مدبرة لتخلص من المريكز .
 - كذب وهتان .. انا اعرف ابنتي .. لقد حملت
 الى هنا مرغمة ، ومات المريكز دفاعاً عنها .
 وراح يردد كمن به مسّ :
 - كلاوديا .. يا للفرحة الكبرى .. يا لعظمة الامير ..
 يا للشرف الاكبر .
 - لقد اثرت نفسك ايها الشيخ .
 - إني اذن في كهف لصوص .
 وفتح رداءه ، كمن يتأهب للقتال .. ثم تذكر انه
 اعزل ، فتابع بخيبة :
 - لم يدر في خلدي اني سأحتاج الى السلاح .
 فقالت المريكزة ، وقد اخرجت من صدرها خنجراً :
 - اليك بهذا .. اليك به قبل ان يرانا احد .. ولدي
 شيء آخر .. ولكن لا ، ليس السم سلاح الرجال .

فتناول كالوتي الخنجر قائلاً :

- شكراً لك يا ابنتي .

- خبئه في حزامك .. ليس ليدي الضعيفة ان تحسن استخدامه ، اما انت فقد تعودت يدك استخدام السلاح ، وكما اصبحت انا في صميمي هكذا اصبحت انت ، فكلانا مصاب يطلب الانتقام .

وكان في عينيها بريق لم يدر كالوتي ما وراءه ، فكان عليها ان تزيد ايضاحاً :

- ان جرحك ايها السيد ليس بأعمق من جرحي .. ولم تعرف بعد من انا .. انا المهجورة المهدوة المنسية .. قد يكون ذلك بسبب ابنتك ، ومع ذلك فأنا ارثي لها ، لأنه لن يعم ان يجرها كما هجرني ، وكما هجر الكثيرات من قبل .

وكانت قد اصبحت كالنمرة الضارية ، فاندفعت تزجر :

- حبذا .. لو يجمعنا القدر نحن المهجورات حوله ، فنعمل فيه اظافرنا واسناننا تمزيقاً ونهشاً ، ونستخرج قلبه الفاسد الثمن من صدره ونسحقه بأقدامنا .

لقد استعادت آميليا شيئاً من روعها بين ذراعي امها ،
وحاولت ان تعرف ما جرى للمركيز ، فكان على الام
ان تموّه الواقع ، بقولها :
- انه جريح ، وجرحه غير خطر ، وقد عاد بمركبته
الى المدينة .

وكانت كلاوديا تفكر في زوجها ، وتنتظر ان تراه
قادمًا لاتقاضيها ، للعود بها الى المنزل العائلي ، بعد ان
اطمأنت الى سلامة ابنتها ، ولم تجد من الامير ما يدعو
الى الخوف .

وبينا هي كذلك ، خيل اليها ان ثمة شيئاً يقلق الامير ،
وان مارينلي يفكر في حيلة تعيد اليه الطمأنينة .. وكان
الاثنان يتهاوسان ، بما أيقظ في صدرها الوسأوس ، وحول
وساوسها في الاخر حدساً :

اما يكون زوجها قد اقبل ؟

وطرقت اذنيها كلمات حادة ، وبالرغم من انها لم تفهم
هذه الكلمات الآتية من الخارج ، فقد احست دافعاً يدفعها
الى معرفة صاحبها ، وفي لحظة من غفلة الامير ورئيس
ديوانه خرجت من الغرفة السجن ، واذا بها وجهاً لوجه

امام زوجها .

لقد صدق حدسها .

لقد صدق قلبها .

فها هو .. ها هو الزوج والوالد المحبوب ، وقد اقبل
يضع حداً للمأساة ، ويعيد الى السجينتين حريتهما وهناءهما ،
وهتفت لرؤيته :

- ادواردو .

وارتمت عليه متابعة :

- لقد كنت على يقين .. لقد كنت على يقين بانك
ستأتي ، وقال لي قلبي انك هنا ، حين رأيت التجهيم على
وجوههم ، والهمس المضطرب القلق على شفاههم .
وانفجرت بالبكاء :

- وما اقول بعد .. ويلي من جهلك ، وويلي من
معرفتك ، ونحن في الحالين براء .

وكان كالوتي يتالك ، ويتظاهر بالهدوء ، فقال :

- حسن .. هديني من روعك ، وجاوبيني : أمات المريكيز؟

- مات .

- اتحدث الأمير صباح اليوم الى آميليا في الكنيسة ؟

- اجل .. وليتك شاهدت خوفها ، وبأية حالة من
 الذعر عادت الى البيت .
 فقالت المركيزة لكالوتي :
 - أرايت أني لم اكن كاذبة ؟
 قالتها بضحكة مريرة :
 - وددت لو انك لم تصدقي .
 وراح يتمشى بخطوات واسعة ، كمن يريد الوصول
 الى امر .. وشعرت كلاوديا بشيء مما يداخله ، فقالت له :
 - لقد نصحتني بالهدوء فهدأت .. اليس لي يا عزيزي
 ان انصحك الآن بالمثل ؟
 قال : ابعد هدوئي من هدؤ ؟
 ثم قال : ادرت آميليا بموت المركيز ؟
 - لا ، ويخيل الي انها تتوقعه .
 - وهي تبكي وتئن ؟
 - لقد بكت وتألمت كثيراً أول الامر ، ثم تمالكت
 بانتظار ما قد يقع ، ولم تتردّد في توقيف الامير عند حدّه .
 ثم قالت راجية :
 - والآن يا ادواردو ، يجب ان نرحل من هنا ، يجب

ان تخفي بسرعة .

فال : لقد جئت على جوادي ، ولا مركبة هنا ، فما
العمل ؟ ثم قال للمركيزة :

.. اما تعودين بركبتك الى المدينة يا سيدتي ؟

فقالت : اجل .

- انتفضلين باخذ امرأتى هذه في معيتك ؟

- بكل سرور

وتذكر هنا قواعد الادب واللباقة ، فقال لامراته :

- اقدم لك المركيزة اورزينا يا كلاوديا ، وهي سيدة
واجحة الفهم وصديقة ، وقد احسنت الينا بالمركبة سريعاً .
قالت معترضة :

- ولكن آميليا .. أفترق عنها ؟

قال : لا بدّ من ذلك ، وسأمضي بها اليك ، حال
وصول المركبة .

وخرج بها والمركيزة الى المركبة ، وقد شيع المركيزة
بقوله :

- رافقتك السلامة يا سيدتي ، وسيأتيك من انبائي ما
ترتاحين اليه .

لقد كان قلق الامير شديداً لاجيء العقيد كالوتي الفجائي
العاجل ، فهو يكره الرجل ويخافه في آن واحد ، ولم
يكن له ان يشارك رئيس ديوانه في استصغار شأنه ، فكان
يقول :

— سيأخذها .. سيمضي بها .. ألي ان امنعه ؟
وكان مارينلي واقفاً الى نافذة تشرف على الحديقة ،
فقال له :

— تعال .. تعال وانظر اليه يا مولاي فهو يتمشى بين
اشجار الحديقة ، ويبدو هادئاً .. لقد سمعه خادمي يقول
لامراته : « ابعتي لنا بالمركمة »

وهدوءه يدل على انه غير ناقم ، ولجورد مثوله بين يديك
سيقدم لك الخضوع والشكر ، وسيمضي بابنته معللاً نفسه
بالشرف الرفيع الذي ستسبغه عليها وعليه في آن واحد .
— وان لم يكن ما تقول .. انا اعرف الرجل ، فهو
لا شك يتصنع الهدوء ، وما عسى ان تكون النتيجة ، فيما
لوعاد بابنته ، وادخلها الى دير خارج امارتي ؟

— لن يفعل .

— واذا فعل ؟

— اذا فعل ...

وفكر العين قليلاً وقال :

— لقد وجدتها .. والحيلة في ايّ حال واجبة ، وعلينا

ان نخطا للمستقبل .

وكان لا يزال ينظر الى الخارج ، فقال :

— إنه بهمّ بالدخول ، فدعنا نتجنب مقابلته مرة اخرى ،

وارجو ان يوافق مولاي على الحطة التي ارسمها .

فتذكر الامير خطط هذا الرجل الجهنمية ، فقال مهدداً :

— اوافق على ان ..

فقاطعه العين قائلاً :

— لا ، لا .. لا دماء ولا دموع .

تشور العاصفة وتهدأ .

والعقيد كالوتي بين ثورتها وهدوؤها ساهم واجم .

انه ينتظر

والى مَ ينتظر ؟

فهو يريد ان يرى ابنته ، ان يرى الطهارة المهددة ، وينقذ

الفضيلة .. يريد ان يقول لأميليا :

— اجل يا ابنتي ، .. سأنقذ الفضيلة ؛ واودّ لو ابكي
لولا أنني لم اتعلم البكاء ، وسأحرم قاتليك ثمرة جريمتهم ،
وهذا ما سيعذبهم اكثر من الجريمة .

وكان الغضب يتحول في فمه ضحكة اشد هولاً من
الغضب ، وهو يذكر : القتلة :

— هؤلاء الذين يتنقلون من شهوة الى شهوة ، لا
الجسد يرتوي من فحش ، ولا النفس ترعوي عن غي ..
وكبيرهم الصغير يحلم ، ويرى العروس الذبيح في سريرته ،
فيمد يده القدرة اليها ، واذا في اعماق نفسه شياطين جهنم .
ولكن مارينللي قد ابطأ .

أما استأذن له بعد ؟

وكان قد عاد الى الداخل ، فاذا بمارينللي يوافيه معاتباً :

— اين كنت يا سيدي ؟

قال : اكانت ابنتي هنا ؟

— كلا ، بل الامير .

— عفواً ، فقد رافقت المراكيزة الى مكتبتها .

— وزوجك ؟

— راحت بمعيتها الى المدينة ، وسترسل لنا المراكبة ، وريثنا

- تصل هذه ، سيسمح لنا الامير بالبقاء هنا .
- لم تكن في حاجة الى هذا ، وكان سموه يسرّ ، لو انه عاد بالأم وابنتها في مركبته الخاصة .
- فقال ادواردو في هدوء نذير :
- ليس للابنة في اي حال قبول هذا الشرف .
- ولماذا ؟
- لأن عليها الاّ تعود الى كواستلا .
- ألا تعود .. ولم ؟
- لأن المركيز قد مات .
- وبعد ؟
- لم يبق من داع لبقائها في المدينة .
- فكان على مارينلي ان ينضح اذ ذاك بما في نفسه
- الحبيثة ، فقال :
- ما من شك في ان للوالد حق التصرف بابنته ، ولكن ثمة اموراً .. اريد ان اقول داعياً ، يضطر الوالد الى التنازل اليوم عن حقه ، فيسمح لابنته بالذهاب الى كواستلا .
- فارتفعت قامّة كالوتي ، وقال :

- واي داع لهذا ؟

- لك ان تقدر .

- لا تقدير هنا .. على ابنتي ان تذهب معي وستذهب .

وكان في لهجته ما يدعو الى التهيّب .

ولم ير مارينللي ان يتحدّى في تلك اللحظة غضبه ، فقال :

- ليس لي يا حضرة العقيد ان ادخل في جدل واياك ،

وقد اكون مخطئاً في تقديري وحكمي ، فما بقي الا ان

يقول الامير كلمته في الامر .

وتركه ومضى .

وبقي كالوتي وحده يتساءل :

- غريب والله .. لم يبق لي حق التصرف بابنتي ، فهم

يفرضون محل اقامتها ، ويريدون ان اخضع للقرض .

ويثور ثأره ، فيقول :

- كلّ هنا يفعل ما يشاء ، وسأفعل انا بمشيئتي ،

وسيروني اني اشاء وافعل .. الا احترام بعدد القانون ؟

وكان كالوتي يتقلب على نار غضبه ، عندما اقبل الامير

متصنعاً اللطف ، وقال له :

- يا عزيزي النبيل كالوتي .. أكان يجب ان يقع ما
وقع اليوم لنراك ؟
فقال كالوتي :

- ليس للمرء ان يزعج اميره ، فالامير يستدعيه عندما
يشاء ، وحتى الآن . اعتذر لحضوري .

- ما اكبر اخلاقك .. وانت لا شك في شوق الى
ابنتك ، فأطمئنك الى سلامتها ، ولكن القلق عاودها بعد
ذهاب امها ، ولا ادري لماذا تركتها وذهبت ، وكنت
أنتظر ان تستعيد العزيزة آميليا كامل روعها ، لاعود بها
معاً الى المدينة ، وارى انك حرمتني نصف سروري بذلك ،
ولن اسمح بجرماني النصف الآخر .

فقال كالوتي ، كمن تأثر بلطف الامير :

- هذا عطف كثير .. وارجو ان يسمح مولاي بأن
لا تعود آميليا الى كواستلا ، حيث لا ينتظرها سوى
الشفقة والشماتة .

- صدقت .. ليس من العدل ان تعرض بها لشفقة
الاصدقاء وشماتة الاعداء ، فدعني اتدبر امرها واحميها من
الاثنتين بنفسى .

- اشكرك .. وارجو ان تدع لي هذا الامر ، فما
من عطف يغني عن العطف الوالدي ، وانا ادرى بما ينفع
ابنتي ، بعد الكارثة التي اودت بسعادتها .

- وما ذاك ؟

- الدير .

فهتف الامير بقوله :

- الدير ؟

- والى ان تحتويها جدرانها ستبقى في حماية ابوها .

- ولكن .. حرام على الدير جمالها .. هذا الجمال

الباهر يا كالوتي .. اصدمة واحدة في العمر تحملنا على
اليأس ، وعلى مقاطعة الحياة بمثل هذه القسوة ؟

ولما رأى في صمت كالوتي ما يعني الاصرار ، قال :

- ولك بعد ما تشاء .. ان ارادة الوالد فوق كل

ارادة .

وكان ما رينالي قد لحق بالامير ، ووقف الى جانبه

لينتظر دوره بالكلام ، فالتفت كالوتي اليه ، وقال :

- والان يا سيدي ؟

فتمهل مارينالي بالجواب ، ثم التفت الى الامير ، وقال

بلهجة القاخي الذي يلفظ حكماً :

- يؤسفني يا صاحب السمو ان اعترض عطفك السامي ،
فثمة امور تحول دون النزول على ارادة هذا السيد ، وفي
مقدمتها صداقة غالية لا بد من ان توفى حقها ، وانا ممن
لا يهاودون في ايفاء هذا الحق .

فقال الامير متظاهراً بالاستغراب :

- اية صداقة ؟

- انت تعلم يا مولاي اية علاقة ودية كانت لي بالمرتكز
أبياني ، وقد اختارني في اللحظة الاخيره من لحظاته للانتقام له .
فلم يتالك كالوتي من الهتاف بدهشة :

- انت .. اختارك انت ؟

- اسأل امرأتك .. لقد كان اسمي خاتمة انفاسه ، ولن

انسى هذا حتى اهتدي الى قاتليه ، وانتقم له الانتقام الذي
لم يسمع بمثله من قبل .

فقال الامير ، كمن تأثر بقوله :

- ولك عوفي المطلق .

وقال كالوتي ، بشيء من التهمك :

- وكل تمنياتي الطيبة .

فقال مارينيلي :

- ان ثمة من يشك في ان القتلة كانوا من قطاع الطرق .

فقال كالوتي ، بلهجة التهكمية :

من المزاحمين اذن ؟

- في الواقع .. وفي الواقع ايضاً ان الافضلية للمزاحم .

فهتف كالوتي ، وقد غلى دمه :

- الافضلية للمزاحم ؟

- هذا ما يقال .

- وما تقول انت ؟ .. وابنتي تفضله ؟

- انا اردد الى الآن اقوال الناس ، ولن يكون لي

ما اقول ، الا بعد استجواب الفتاة .

فقال الامير مصادقاً :

- هذا ما يجب .

وتابع مارينيلي :

- ولا استجواب الا في كواستلا .

فردد الامير قوله :

- في كواستلا . لا مفر من الحق .. وآسف

يا عزيزي كالوتي ان هذا سيغير الموقف .

فغمغم كالوتي :

— سيتغير الموقف .

وقرأ الامير على وجهه سطوراً لم ترقه ، فقال له :

— ما الذي يحول في نفسك ؟

فقال كالوتي كمن يخضع للامر :

— لا شيء .. سوى اني أتألم .. ولا بأس في عود

أميليا الى كواستلا ، وسأعود بها في الحال الى والدتها ، ولن

تفارق المدينة إلا بعد اعلان براءتها .

وضحك بمرارة ، وتابع :

— ومن يدري .. افليس بمحتمل ان تجد العدالة من

الضروري استجوابي أيضاً ؟

فقال مارينلي بنحس :

— محتمل جداً .. فالعدالة تفضل ان تعمل ابداً أكثر

بما يجب ، على ان تعمل اقل مما يجب ، ولذلك اخشى ..

قال الامير :

— وما تخشى ؟

— ان لا نستطيع الجمع بين الام والابنة قبل انتهاء التحقيق .

فصاح كالوتي :

- اتفصل الابنة عن امها ؟
- للضرورة .. كما يفصل الوالد عن الاثنين ...
- شكليات يا سيدي .. وعلى هذا يؤسفني ان اطلب
 باصرار ابقاء آميليا تحت حراسة خاصة .
- فكاد الوالد التعس يصعق لهذا ، وقال :
- تحت حراسة خاصة ؟
- والتفت الى الامير يستنجده :
- ايها الامير ..
- وكانه فطن الى امر ، فحوّل نظره عن الامير الى
 مارينلي ، وراح يغغم :
- تحت حراسة خاصة .. حق وعدل .. تحت حراسة
 خاصة .. أنا ان نعترض ؟
- وكانت يده في جيبه تبحث عن شيء .
- فدنا الامير منه ملاطفاً :
- تمالك يا عزيزي كالوتي .. لا تعني الحراسة الخاصة
 السجن .
- فقال كالوتي ، وقد اخرج يده من جيبه :
- إني افكر واهديء من روعي .

- لا سجن في الامر .. تطبيق قوانين فقط .. تطبيق
قوانين لانتقاذ فضيلة .. وما دام لا بد من وضع آميليا
تحت الحراسة ، فأنا نفسي سأختار المكان اللائق بها ،
ولا اجد افضل و « أليق » من منزل رئيس الوزراء ،
وسأוכל الى نخبة من فضليات السيدات العناية بها .
وكان الامير يبالغ في « اللطف » . وعليه ان يمثل دوره
الى النهاية ، فقال لمارينلي :
- اما انت يا مارينلي فانك تغالي في غيرتك على تنفيذ
القانون .

ثم عاد الى كالوتي يقول :
- أما تعرف يا كالوتي رئيس الوزراء كريمالدي
وامراته الفاضلة ؟

فقال كالوتي ، وكأنه لا يتهم :
- اعرفها جيداً ، واعرف ايضاً ابنتها الظريفة ، وهل
في الامارة كلها من يجمل هؤلاء الكرام ؟
ثم التفت الى مارينلي قائلاً :

- اذا كان لا بد من ابقاء آميليا تحت الحراسة ، ايها
القاضي باسم القانون والحق والعدالة ، فليكن ذلك في اعماق

السجون . وانا ابوها أصرّ على هذا .. لقد صدقت المركيزة
اورزينا بقولها :

«إن من لم يجن من مشاهد معينة قد رآها ، لا يمكن ان يصاب
بعدها بالجنون » .

فقال الامير ، كمن وقع في حيرة :

- أكاد لا أفهمك يا عزيزي كالوتي .. اريد لك الخير
ولا تريده لنفسك .. أقول في بيت رئيس الوزراء وتقول
في السجن .. لا ، لا .. في بيت رئيس الوزراء ، وسأقودها
بنفسي اليه ، وستلقى هناك خير معاملة ، مقرونة بأوفر
الاحترام .

وربت على كتفه متابعاً :

- اتفقنا .. بلى ، بلى ، اتفقنا .. اما انت فحريتك
التامة لك ، تلحق بنا الى كواستلا ، او تعود الى
سابيونيتا ، فالى اللقاء يا عزيزي .

وكان كالوتي في تلك اللحظة تأه الفكر ، وكأنه في
لجة عميقة من الالم الصامت ، فتمتم :

- ولا ارى ابنتي .. ولا اقول لها كلمة ..
ليس افضل من منزل رئيس الوزراء .. انه حصن للفضيلة

حصين .. اليه يا مولاي لا الى سواه .. أما تسمح لي
بعد ، بأن اراها ، بأن اطمئنها الى مصيرها ، بأن اقول لها
ان الأمان كله في رعاية الامير ؟
وغرَّ قوله الامير ، فقال :
- لك هذا يا كالوتي ، وليتك تودُّ ان تكون صديقي
ومرشدي ووالدي .

وكان كالوتي قد ابتدأ يضحك .
كان يتهاى للضحكة الاخيرة ، للضحكة الرابعة ، والامير
وشيطانه يتعدان عنه :
- قه ، قه ، قه .

واطلقها .. الضحكة التي هدمت كيانه :
- من يدري .. من يدري .. لعل ثمة تفاهم ، ولعل
الطبيعة لعبت لعبتها ، ولعل من كانت ابنتي لا تسحق
بعد ان اكون والدها .
وانقلبت الضحكة لعنة .. ولكن لا .. ليس له ان
يلعن ، فالسما وحدها تلعن وتبارك ، والسما وحدها ان
تختتم المساة .

وهمّ بالانصراف .

وهمّ بالخروج من نفسه الضيقة الى المدى الرجب ،
الى حيث يلعب القدر في كل لحظة لعبته ، ويسوق في
طرق المجهول ضحاياه .

همّ بذلك ، حين اقبلت آميليا ، فقال في نفسه :

- ولكن القدر يأبى الا ان اختتم انا المساة .

وارقت الفتاة بين ذراعيه هاتفة :

- انت هنا .. انت هنا يا ابي .. وامي ، والمر كيز؟

وكن راعها قلقه ، سألته بلهفة :

- أقلق انت ؟

قال كمن يلجم العاصفة :

- وهادئة انت ؟

- هادئة .. اما أنا لم نفقد شيئاً ، واما اننا فقدنا كل شيء ،

وعلينا في الحالين ان نتمالك .

- وما ظنك في ما حدث ؟

- لقد فقدنا كل شيء .

- وهادئة انت .. قد يكون في ذلك خجلي .. وما

تعنين بقواك : فقدنا كل شيء ؟

- لقد مات الماركيز .. لقد مات .. قرأت ذلك في عيني امي الرطبتين .. وأين امي الآن ؟ قال :

- لنلحق بها .

- لنلحق بها .. لنفرّ من هنا يا ابي .

- لنلحق بها .. لا ... انت في محالب خاطفيك ، وستظلين كذلك .

فهمت ملتاعة :

- وسأظل كذلك ؟

- وحدك .. بعيدة عني وعن امك .

- وحدي ؟!

وتعالى هتافها :

- ابدأ .. ولست اذن بأبي .. لك انت تدعني في

محالبهم اذا شئت ، ولكنني سأحطم هذه المحالب ، او اتحطم فيها .

- اما قلت إنك هادئة يا ابنتي ؟

- قلت .. وما الهدوء .. أيد مشلولة في الحزن ،

وآلام مكبوتة في الصدر ، وتجلّد إن طال ولد الانفجار ؟

فاستيقظت كبرياء كالوتي في صدره ، وقد بات على يقين

من براءة ابنته ، ومن طهارة قلبها وروحها ، فقال لها بنحو :
- هدوءك هدوئي يا ابنتي ، فتعالي الى صدري .. لقد
ابدعتك الطبيعة نموذجاً لكمال فنّها ، وإني لفخور بك
الفخر الذي اردته لنفسي ، ولكن يد الاثم والفحش تريد
انتزاعك مني ، وباسم العدالة الزائفة سيحجزون عليك في بيت
كريمالدي .

فهمت الفتاة كأن حية لسعتها :
- يريدون انتزاعي منك .. من ، من هم ، من
المجرمون هؤلاء ؟

- لقد جن جنوني .
واستل خنجره من جيبه وقال :
- كدت انهدم هذا الخنجر في صدر احدهما .
- لا ، بحق السماء .. ان الحياة هي كل ما يملكه
الخطاة .

وحاولت اختطاف الخنجر من يده :
- إليّ به ، إليّ بهذا الخنجر .
- ليس بدبوس للشعر هذا .
- ليكن دبوساً .

- إلى هنا .. أليست الحياة واحدة يا آميليا ؟

- والبراءة واحدة يا أبي .

- وهي تعلو على القوة .

- ولكنها لا تعلو على الاغتصاب

واندفعت تقول :

- القوة .. لأي منا ان يجبه القوة ، اما الاغتصاب

فهو . . . انا اعرف بيت كريمالدي ، بيت

المجون والفسق والخطيئة ، وزيارة واحدة مع امي لهذا

البيت ، اثارث في نفسي من الاضطراب ، ما لم تقو التوسلات

الدينية على تلطيفه في اسابيع .

ودنت منه راجية :

- إليّ بهذا الخنجر .

قال ، وقد بات كالمشدوه :

- خذيه .

فتناولت الخنجر بلهفة ، وهمت بطعن نفسها ، فاسترع

واختطفه منها ، وقال :

- لا ، هذا ليس ليديك .

قالت ، وقد غدت كالجنونة :

- صدقت بدبوس شعر .
واخذت تفتش عن دبوس في شعرها ، فوقعت يدها
على الوردة التي كانت تزينت بها ، فتناولتها هاتفة :
- انت .. انزلي ، انزلي .. لست لشعر الفتاة التي
يريد ابي ان اكونها .
وكان كالوتي يصغي اليها ، والدموع قد تحجرت في
عينيه ، فتأوه قائلاً :
- آواه ، يا آميليا .
قالت تردد تأوّه :
- آواه ، يا أي .. ما تريدني لعار ، وفيمَ تتردد ؟
ومزقت الوردة تمزيقاً ، وتابعت بجزن :
- لقد كان ثمة آباء يطعنون بناتهم لانقاذهن من الاثم ،
ولاعطائهن الحياة مرة اخرى .. لقد كان ذلك فيما مضى ،
واما الآن .. فلا .
فجزج كالوتي قائلاً
- بلى ، يا ابنتي .. فيما مضى واليوم ، وأنا ممن
ينقذون بناتهم .
وفي لحظة واحدة طعنها ، الطعنة التي اشتبهتها ،

فهمت مهلة :

- لقد قطفت الوردة ، قبل ان تقصفها الريح ،
وتطرحها موطئاً للاقدام .

وخفت صوتها ، وهي تردد :

- دعني الـم يدك .. يدك الابوية ..

ولم يكن للوالد التعس سوى كلمة واحدة يقولها :

- يا الهي .. ماذا فعلت ؟

وسمع الامير شيئاً ، فهرول سائلاً :

- ماذا جرى ؟

ووقف من الجثمان الطاهر ، وقفه الخاطيء امام الخطيئة ،

وهو يردد :

- يا للهول .. يا للهول !

وكان ضمير مارينلي استيقظ ، وهو يتبعه ، فصاح :

- الويل لي .

والتفت الامير بحزن يمازجه السخط الى كالوتي ،

وقال له :

- ايها الوالد الظالم .. ماذا فعلت ؟

فقال كالوتي يردّد قولاً سمعه :
 - لقد قطفت الوردة ، قبل ان تقصفها الريح ، وتطرحها
 موطئاً للاقدام .
 ونظر بجنو الى ابنته ، وقال :
 - اليس كذلك يا ابنتي ؟
 فاستجمعت الفتاة المحتضرة بعض قواها ، وقالت :
 - بلى ، يا ابي .. ولكن .. انا فعلت هذا ؛ لا انت .
 قال : انا ، لا انت . انا يا آميليا .. لا تفارقي الدنيا
 كاذبة خاطئة .
 واكبّ يلثم جبينها ، فصعدت زفرة ارتياح ، واسلمت
 روحها الطاهرة بين ذراعيه .
 وكان قد اصبح كالمجنون .
 فنظر الى الامير نظرة كأنها الحمم ، وقال :
 - تقدم الآن . تقدم وخذها ، فهي كما ترى جميلة ..
 جمع شهواتك وتقدم .. تقدم ومرّغ هواك بالدم ...
 ولكن لا .. ان دماً طاهراً كهذا لا يُمرّغ فيه العهر ،
 ولا تسرح في التراب الذي رواه ، الحشرات .
 وكانت عيناه جاحظتين ، وصوته يدوي كالاسد الجريح

في صميمه . وحدّق في وجه الامير وقال :
- انتظر ان احوّل هذا الخنجر الى صدري ، لأختم
المأساة بمأساة .. لا .

ورمى الخنجر الذي كان لا يزال في يده ، قائلاً وصوته
يتهدّج جنوناً :

- واليك به .. انه على قدميك ، وهو الشاهد على
جريمتي ، وانا ماضٍ الى السجن ، حيث انتظر حكمك ،
بانتظار اليوم الذي سيجمعني بك ، امام اعدل الحاكمين .

وكان الامير مطرقاً ، لا يجرؤ على النظر اليه ، وفي
يقظة الم عميق ، التفت الى مارينلي ، الى الثعلب الذي
كان يرتجف خبثاً وهلعاً ، وقال له :

- هيا .. التقط هذا الخنجر .. التقطه وصف الحساب .
وفهم مارينلي ما يعني ، فالتقط الخنجر كالمصعوق ،
ووقف كالجماد لا يتحرك ، فدنا الامير منه ، واختطف
الخنجر من يده ، قائلاً :

- ولكن ، لا .. ليس لهذا الدم الذكي الطاهر ان يختلط
بدمك .

وصاح بصوت صاعق :

- أغرب .. الى الابد ، يا لعين .
وكان الألم قد سحق نفسه ، فرفع عينيه الى السماء ،
هائلاً :
- يا الهي .. اما يكفي الامراء شقاؤهم بأنهم بشر ،
لتسمح للشياطين بأن يتقمصوا في جلود اعوانهم ؟



ملاحظة :

هذه القصة وضعها الشاعر الالماني « ليسنك »
بالالمانية ، مسرحية . ونقلها الى العربية ،
مسرحية ايضاً ، الدكتور امين رويحة . ولكننا
لفتنا نظر الدكتور الى ان القاريء العربي
قد يرتاح الى مشاهدة المسرحيات ، ولكنه
لا يرتاح الى قراءتها ؛ فحولنا صديقنا
الدكتور رويحة حق تحويلها الى قصة فحولتها
« دار الحكمة » الى قصة ، مع المحافظة التامة
على المعنى والروح ، وعلى الفاظ الحوار .

دار الحِكْمَة
للتأليف والترجمة والنشر

بيروت محطة رينو بناية تاجر

تلفون : ٣٣٤٥٨

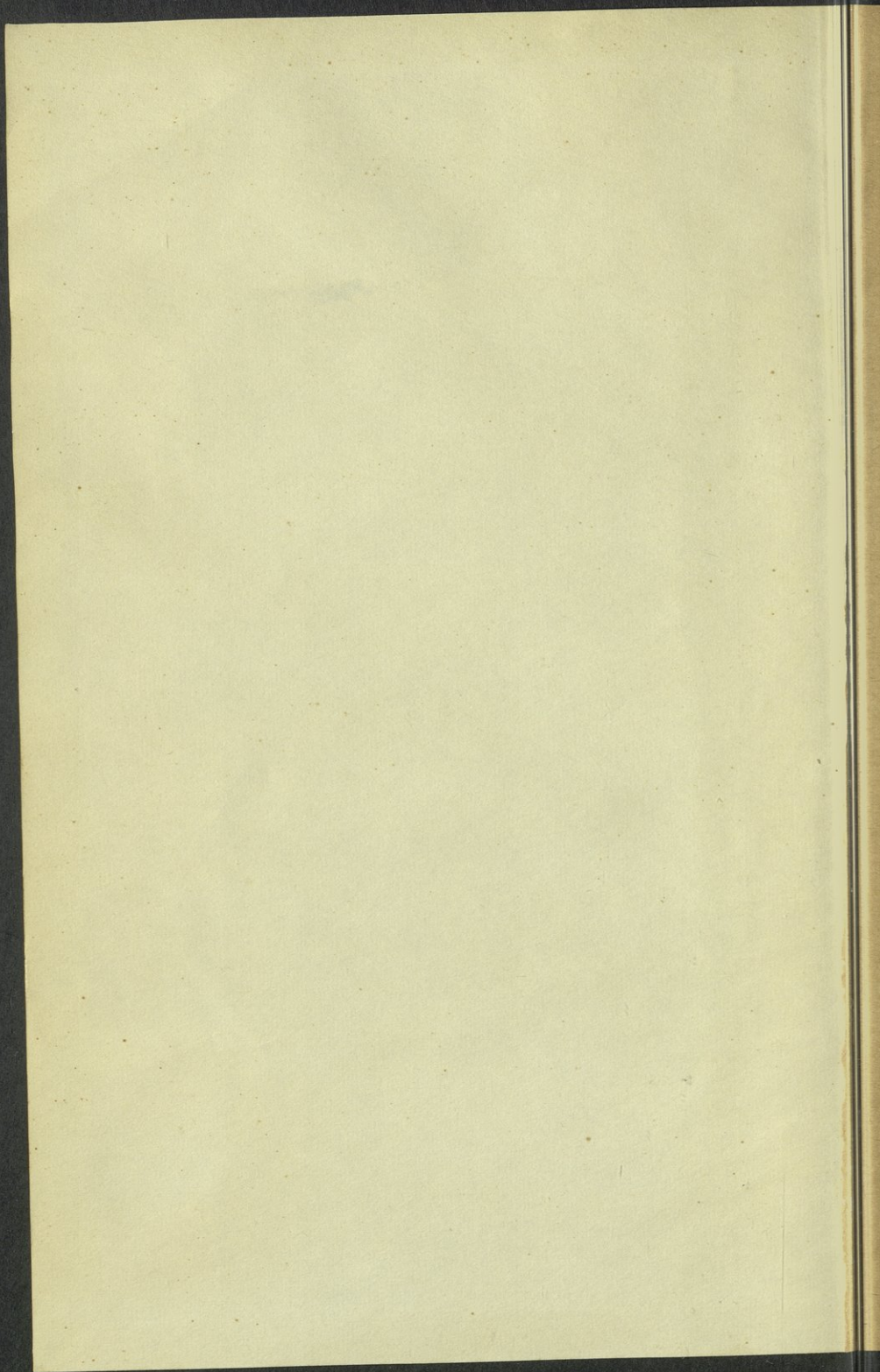
ستضع بين ايديكم قريباً

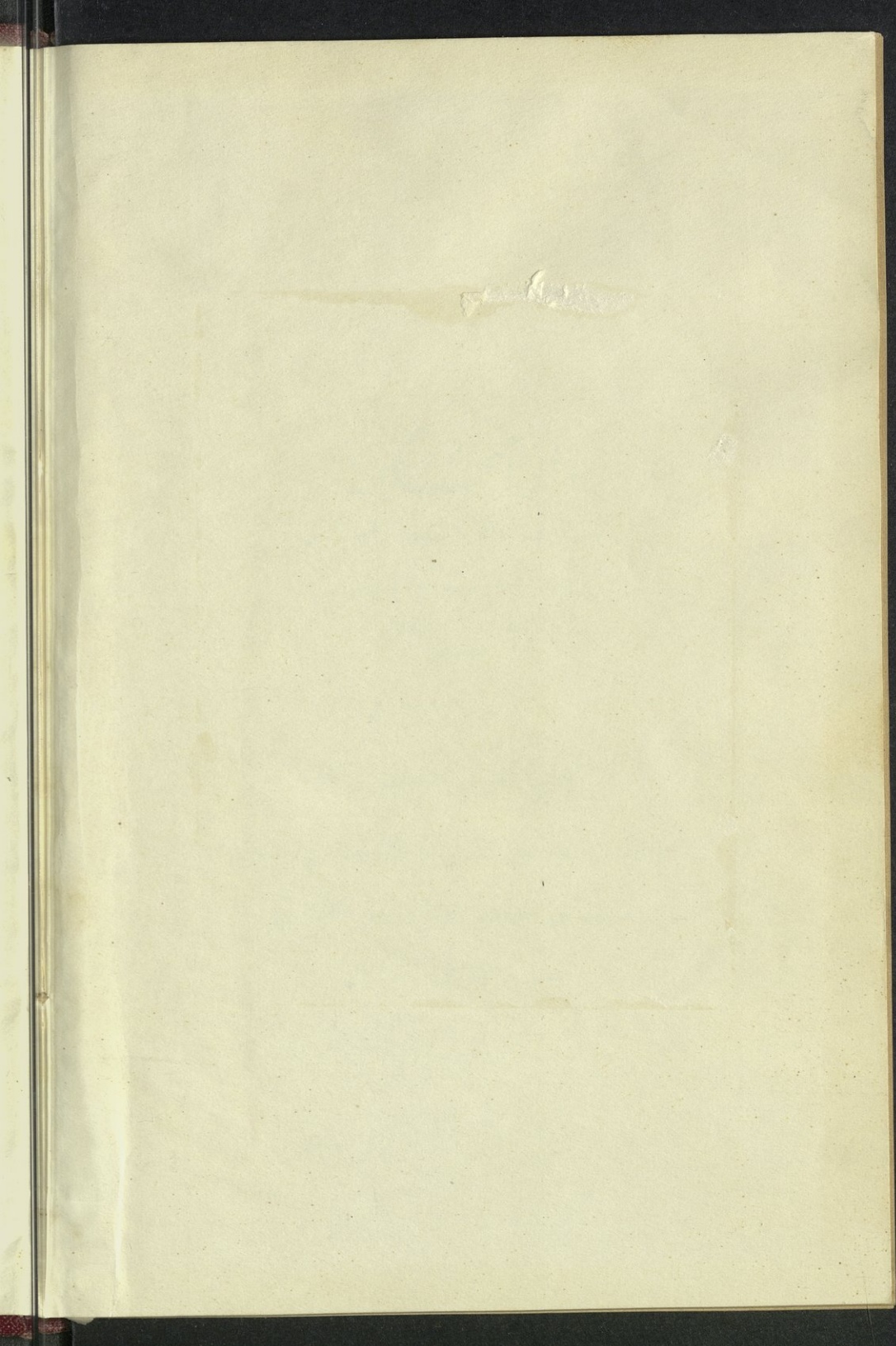
١ - كتاب طريق فلسطين - قصة =

— الحلقة الرابعة من سلسلة « الثائرون في التاريخ »

جنبد بن جناده اي ابو ذر الغفاري

اعظم واعند واشجع ثائر

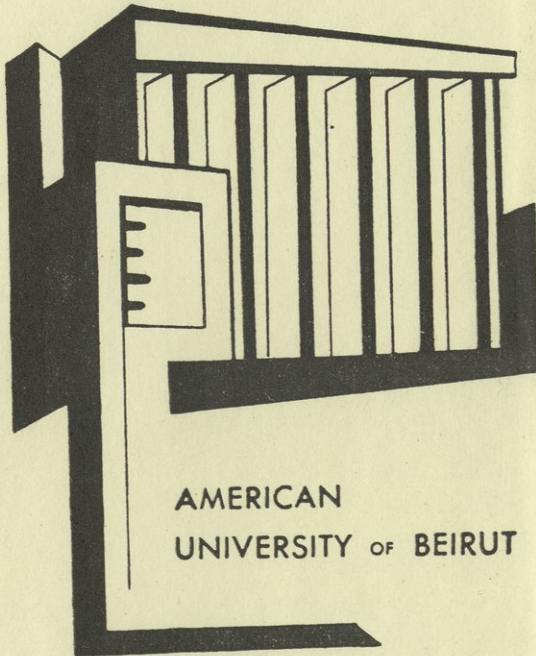




832.6:L63uA
لِسْنَمِ ، غَنْهولَد اِفْرَايِم
العرس المائتم
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01031038



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

